رواية

راكوشا

نهى محمود

ميريت

راكوشا

راكوشا

رواية

نهى محمود

الطبعة الأولى ٢٠٠٩
(c) دار ميريت
٦ (ب) شارع قصر النيل، القاهرة
تليفون / فاكس: ٢٥٧٩٧٧١٠ (٢٠٢)
www .darmerit.org
merit56@hotmail .com

الغلاف أحمد النبراوي

المدير العام : محمد هاشم

رقم الإيداع: ١٩٤٤٦ / ٢٠٠٩

الترقيم الدولي: 978-977-351-476-4

نهى محمود

راكوشا

رواية

دار ميريت
القاهرة ٢٠٠٩

لأجل بشارات أمي

ويقين أبي

أظنني لمست تلك النجمة البعيدة

التي تحمل أحلامهما وملامحي

كان الحزن طاغيا هذا الصباح

لأول مـــرة تجمـــدت الدموع في عين البنت التي تحب الورد البلدي البمبي.

يقـــول عـــنها الولد الحزين إنها تأكل كل صباح وردة وإنهما بذلك تتوحدان هي والوردة.

الـــيوم اخـــتارت أن تـــرتدي ملابس وردية لم تنس أن تضع الشال الأسود عليها.

جاهـــدت أن تـــثقب جعبة الحزن ليتسلل منها الألم والوجع – تحتاج لنصف ساعة قبل أن تصل للمقهى الذي ينتظرها عليه الولد الحزين – ربما تكون كافية لتسريب الحزن.

جلست أمامه...

لم تخبره كم اشتاقته – تعرف أنه لن يجد ما يرد به عليها.

أغمـــضت عينـــيها.. تذكـــرت الحلم الذي صحت عليه منذ ساعات.

فكـــرت أن تحكيه للولد الحزين. قالت له "تعرف حلمت أني أتعارك مع عشرة رجال يرتدون ملابس زرقاء" وصمتت.

لـــم تخبره أنها قتلتهم جميعا وأن مشهد الحلم لم يتلوث بقطرة دم واحدة.

يتكلمان عن الحب والحزن والأسرار.

عـــن الأخـــبار فـــي الجرائد الصباحية – عن المدونات عن الدقيق والغلاء والإخفاقات والمخاوف.

والتـــي شـــيرت الأصـــفر المطبوع عليه قلوب فضية تلمع، وترتدينه الفتيات والشباب بلا اختلاف يذكر.

يصمتان عندما يشاهدان القطة حنة وهي تعاني..

قطـــة المقهـــى – اسمها حنة – تتنفس بصعوبة هذا الصباح. تختار كرسيا عاليا قرب الباب المفتوح لتتألم – شعرها أسود يمر فيه اللون البرتقالي كما تسرح الحناء في شعر النساء.

تخبـــره أن القطة تموت. يهز رأسه وينظر في عينها ويقول: "أعرف".

يـــتحدثان عـــن الموت. يبدو الصباح ملائما للحديث عنه لأن الحزن كان طاغيا..

البنت التي تحب الورد توجعها نقطة بلون الكريز في جسدها. في أيام معينة من الشهر يبدو الألم غير محتمل.

تخبـرها الطبيـبة أنهـا مـشكلة هرمونات.. تعطيها بعض الحـبوب.. تتوقف عن تناولها بعد الحبة الثالثة.. لا تحب الأدوية ولا الأطباء ولا المستشفيات.

يـزداد الوجـع. يخبـرها طبيب الأورام بعد فحص مرعب لثديـيها أنـه ليس هناك مشكلة. ينصحها بتغيير حمالات الصدر الساتان بالقطن.

يضع الطبيب الجراح حقنة المسكن في ذلك الخيط المستطيل المتكون تحت ثديها الأيمن بحيث يجعل كل حركة من يدها اليمنى كثيـرة الاستخدام سببا في ألم شديد. تداري وجهها بعيدا. يخبرها أن تحـتمل لأنه سيعطيها حقنة أخرى – المخدر الموضعي – هل يجعلها تغادر لحظة الألم؟ تصرخ.

التاريخ الدموي لنداءات الوجع في عالمها: :آه يا أمي

الـدم يـسيل.. يسحبه الطبيب ومعه الخلايا الميتة المتجمعة. يضع الشريط اللاصق. تسندها خالتها وتغادر.

تـتفحص هي في كل المساءات الخيط المستطيل الذي صار أثرا قديما أسفل ثديها تماما. تبحث عن الخلية الغاضبة التي ثارت فـي تلـك المرة. أخبرها الطبيب أن الأمر سيتكرر كثيرا وربما نحـتاج لخـدش الجـسد مـرة أخرى والتخلص من الخلية والدم والصديد.

أوصاها بوضع قطعه من القطن في ذلك المكان قبل أن تنام.

الـرعب الـذي تعيشه يبدو أبديا – رغم أن غضب الخلية لم يتكرر.

هل تتحول تلك الخلية المشاكسة يوما لبؤرة الموت؟

الأمـر أسـوأ من احتمالها تكراره كل هذه المرات.. عندما تموت كل نساء مدينتها بتوحش الخلايا المسالمة. المرض المخيف الذي يعاف الناس ذكر اسمه. المرض الذي لم تكن أمها تحب أبدا أن يعرف أحد غريب إنها مريضة به.

أمهـا التـي تحـب القراءة ومشاهدة الأفلام الأجنبية وبطلها المفضل هو أنتوني كوين وجريجوري بك وكيرك دوجلاس.

وهكـذا كـان بطـل البنت التي تحب الورد مايكل دوجلاس واشـتركا معا هي وأمها في حب نيكولاس كيدج ومحمود حميدة الـذي تقـول عنه الأم إنه شبيه زوجها الرجل الغارق في الطيبة والحـنان بيـنما تقـول البنت إنه شبيه الرجل الذي يصلح مجرد صديق لها لأنها لا تحب أن تتزوج رجلا يشبه هؤلاء النجوم.

تخبرها أمها أن ذوقها سيء في الرجال.

تعـرف انهـا ستحب رجلا أسمر خشنا.. البنت تعرف إنها سـتلقى رجلا له سحر الطبيعة في صورها الأولى دون تدخل من العلم والبشر.

رجـل كما الصحراء في خشونتها ونعومة رمالها المتحركة وخطورة عواصفها وكثرة السراب بها.

بعد موت أمها تتحسس كل ليلة الخيط المستطيل وتفكر كثيرا في الخلية الشريرة.

يـبدأ الأمـر دائمـا هكذا.. كلا. ستفضل الموت عن متابعة مـراحل العـلاج التـي تؤدي بدورها للموت.. تحسم هذا الأمر وتنهيه.

تـتفاقم الفوبيا فتترك ضرسها المحتاج للحشو أكثر من ثلاث سنوات دون أن تفكر في الذهاب للطبيب.

تجـرب الوصـفات الـشعبية لعـلاج الأوجاع التي يصعب تجاهلها.

* * *

الولد الحزين يغلق هاتفه المحمول أربعة أيام.

يجلـس علـى السلم الخشب في حجرة التكعيبة الخشبية على سـطح بيـته البعـيد الهادئ ويتابع حوض الصبار الحزين وهو يموت.

الـولد الـذي يخاف من الحب يخبر الولد الحزين أن الصبار يموت.

يجلـسان معا يراقبان الموت وهو يخيم على المشهد الصامت البعيد.

البنت التي تحب الورد تقلق على الولد الحزين.

تبكي من القلق.

عـــندما تلمح رقمه على هاتفها بعد منتصف الليل لا تقدر أن تـــرد لأن صـــوت خفـــق قلبها بدى لها أعلى كثيرا من أية كلمة ستخرج من فمها.

فـــي اليوم التالي تكرر غيابه.. ثم ظهوره المفاجئ في المساء الهادئ.

عـــندما لمحت رقمه جاهدت أن تزيح القلق والحزن وصوت البكاء وأن تحادثه بعادية... لم يتكلما عن شيء ولا عن أحد.

تبادلا كلمات محددة تمضي في اتجاه واحد.. منه إليه، ومنها إليها.

هكـــذا تمكن كل منهما أن يدعي أن الآخر بخير عندما أغلق الهاتف وحاول العودة لإطار يومه المتكرر المتشابه.

عندما قابلها بعد غياب أسبوع كامل كانت غاضبة وفرحة...

وكـــان هو ممسكا بخيط من الحرير الأبيض الشفاف علها لا تراه فيجرحها ويشعرها بالفاصل بينهما – كان مجهدا ومستقرا.

هكذا نبدو بعد أيام الطوفان.

بعد نهاية اللقاء ناولها لفافة من الكتان الأبيض لتصنع بينهما سدا من العقل.

ورغم أنها لا تعرف كيف تستخدم الإبرة وافقت وتناولته منه ونسجت شيئا بديعا حزينا قُدِّر له أن يُخلق ليتمزق.

يسأل ولد المقهى الفتاة التي تشرب الشيشة التفاح عما بين الفتى الحزين وفتاة الورد!

تبتسم دون أن تعلق.

عندما تعرف فتاة الورد ذلك تتساءل بيقين داخلها عما بينها وبين الفتى الحزين.

وهل لعنة الحب الذي يولد ليموت باقية في عالمها ولن تغادر؟

تبكي.. ما أحن عليها الآن من البكاء.

فتاة الورد وحيدة ..!

هل يبدو ذلك ظاهرا للعيان؟

لا تعرف إجابة ذلك.

تضحك دائما.. تضيء ابتسامتها عتمة أيامها. في بداية معرفتها بالولد الحزين قال إنه يحسدها لأنها تضحك دوما.

يخبرها أنها "فتاة بلا هموم" تهز رأسها من السخرية وتصمت.

في الأيام التالية فتحت للولد الحزين قلبها لأنه حزين مثلها.
هكذا يبدو الأمر محتملا عندما نتقاسم الحزن فيتفتت.
الولد الحزين يقتسم معها الأشياء قسمة غير عادلة..
يمتص حزنها وأرقها ومخاوفها ويمرر لها بعضا من قلقه وتساؤلاته.
يحتفظ لنفسه بالجزء الأكبر من الحزن والصمت والصبارات الميتة.
يخبرها أن البوح فن لا يجيده الرجال في قريته البعيدة... يخبرها أنها ماهرة في الحكي كما شهرزاد.

تنتظر فتاة الورد أن ترى دموع الولد. لا يتعلق الأمر بالسادية والرغبة في تعذيبه حد البكاء. يتعلق الموقف كله برغبتها في تحرير مارد الوجع الذي يسحقه.
في تحقيق نبوءتها الخاصة – في اختبار قدرتها على احتوائه – علمتها أمها أنها لن تصبح امرأة قبل أن تحمل في قلبها رجلا وفي أحشائها طفلا.
كل النساء قادرات على حمل الأطفال.. قليلات من يعرفن العيش بقلوب تنبض بعشق رجل.
تقول النبوءة إنها لن تتشكل امرأة إلا عندما تخفيه في روحها.. عندما يتماهى داخلها ويذوب هو وحزنه ودموعه.. وتتلاشى هي ومخاوفها وإحباطاتها.
هناك تحديدا سينبت جسد جديد.. جسد امرأة.

هناك سيتغير هو أيضا لن يعود كما كان ذلك الولد الحزين.. سيـصبح الـرجل الذي كان ولدا حزينا حتى قابل من اقتسم معه حزنه فتبخر.

"ابـك". تـستحثه عليها طوال الوقت.. تمسك يده المرتعشة برهبة الاكتشاف وتمضي داخلهما معا.

معه ترى ما يزعجها ولا تعرف له مسمى.

ومعها يكشف ما لم يواجه نفسه به من قبل.

ومعـا يواربان بابا للشمس التي تحبها البنت ويحمل لها الولد في ذاكرته رائحة الطفولة.

* * *

الـولد الذي يأكل العدس على الرصيف وتمتلئ عيونه بأحلام مائة عام قادمة يجلس إلى جوار البنت التي تحب الورد.

تتفرج عليه بدهشة وفرحة.

تتلمسه أحيانا لتتأكد أنه حقيقي وموجود.

تـرهب نظـرة عينيه التي تشعر إنها ترجها من أعماقها – يسخر من سذاجتها وحبها للورد والأدب النظيف والسينما التي بلا مشاهد مثيرة.

يـسخر من حجابها ومن تناقض رغبتها في الحرية ورفضها لدفع ثمنها.

يتهمها بالازدواجية.. تغضب وتلعنه.

وفـــي اليوم التالي يصالحها.. وتقبل باتفاق غير معلن بينهما أن يكونا صديقين.

الـــولد الـــذي يأكل العدس على الرصيف طيب ومختلف. في عينيه نظرة لا تفهمها.

لا تعـــرف لماذا تخجل من نظرته لها رغم إنها طيبة وبريئة لكنها تمسها بشكل يستدعي رعبا مجهولا.

يسألها إن كانت تحب الولد الحزين..

تستغرب جرأته وتعاتبه أن يظن ذلك..

تؤكد له أنها ترهب الحب وأنها لن تقع فيه أبدا.

يقول لها إنها لو أحبت الولد الحزين ستكون محظوظة..

تفكـــر فتاة الورد الآن – هل كانت تلك هي نبوءة الولد الذي يحب العدس لها؟

كيف عرف إنها ستحب الولد الحزين بعد ذلك بأشهر قليلة؟

كيف عرف إن حبه سيشعرها بسعادة لم تمس قلبها من قبل؟

تهمس الآن بأن نبوءته كانت مهترئة مضللة ناقصة لأن الفتى الحـــزين لـــن يحـــب الفتاة التي تحب الورد. لأن الحب والحزن يتعارضان.

الولد يسكن الحزن.. يلف به روحه.. يعتاد وجوده بشدة..

يرفض بعنف غير معتاد هو عليه – يرفض أن يحبها. "المجد للحزن"، هكذا يقول لنفسه ويصمت.

الفتى الذي يحب العدس يواعد الفتاة التي تحب الورد ويواعد الولد الحزين وفتاة الشيشة وفتى المقهى وفتاة الجريدة.

الجميع يذهبون للميعاد لكن الفتى الذي يأكل العدس على الرصيف يأخذه حماما صباحيا ويخلف ميعاده معهم لأنه سقط من الإعياء ومات مختنقا بالبخار.

* * *

الولد العصبي الذي يحب الحياة يتزوج فتاة الشيشة وينجب فتاة صغيرة تشبه فتاة الورد.

يموت في المستشفى متأثرا بوجع في قلبه الذي يحب الحياة. يموت تاركا عشرات الأوراق والتحاليل والمدانين وكتبا تغطي بيتهما المشترك وغرفته بالمستشفى ومخطوطات لرواياته وأحلامه وصورة لحسن نصر الله كانت جريدة الدستور توزعها وقت إقامة الولد العصبي بالمستشفى.

حسن نصر الله الذي كانت تظنه الممرضة قسا وتستغرب من الولد الذي يضع المصحف وصورة القس إلى جوار بعضهما، ويقرأ طوال اليوم ويدخن هو الممنوع من السجائر، ويقابل أصدقاءه غريبي الأطوار ويشتكي الوحدة والرعب من انتظار موت يعرف إنه قادم.

يمـــوت تاركا الإهمال وانعدام الضمير والموت صانعين بقعة من سواد الحبر على ملابسنا جميعا.

يقضي ليلة طويلة في ثلاجة المستشفى.

الفـــتاه التـــي تحـــب الورد تبكي وتأكل أظافرها من القهر.. تقضي تلك الليلة في معاتبته.. كيف يموت بعدما أصبحا أصدقاء؟!

كـــيف تطلـــب منه أن يبقى لأنها ليست على استعداد لفقدان أصـــدقاء قريبا؟ يبتسم ويهز رأسه ويعدها ثم يغادر وحيدا ويبيت ليلته في ثلاجة المستشفى.

يمـــوت ويتـــرك طفلة صغيرة تشبه فتاة الورد وفتاة تدخن الشيشة تحمل في روحها خدوشا تحتاج ما تبقى من عمرها للشفاء منها

الطفلـــة الـــصغيرة والبـــنت التي تحب الورد تصبحان صديقتين. عندما أتمت الصغيرة عامين كانت تجلس بجوار البنت التي تحب الورد في الفراش..

كانـــتا تتحدثان في كل ما هو مشترك بينهما. حكت لها البنت عن فستانها الأصفر الذي كانت ترتديه في أول مرة تقابلا. أسرت لها أنها لا تحب اللون الأصفر إلا أنه بدى فاتنا على الطفلة.

قالت لها إنها تذكر اللقاء الأول بينهما. كان عاديا.. فتاة تحب الـــورد تتعرف على طفلة تشبهها. أضافت إنها لم تكن تعرف أنها ســـتكون قريبة منها بهذه الطريقة وأن القدر رتب لهما معا الكثير من الذكريات المشتركة.

أفــضت لهــا أيضا بحقيقة أنها لم تعرف إذا ما كانت أحبتها من النظرة الأولى أم لا لكنها تجزم بأنها الآن تعشقها.

ترد الطفلة بأنها هي الأخرى تحبها..

تلعــبان معا بالحمار الأزرق الصغير الذي يخص الفتاة التي تحــب الورد. تقلد الطفلة صديقتها التي تحب الورد في كل شيء، وتفاجأ فتاة الورد أنها هي الأخرى تتصرف كالطفلة وأن لها نفس انفعالاتها..

البنت التي تحب الورد وفتاة الشيشة والطفلة يصنعن ثلاثيا متناغما رغم عدم تشابه أطرافه. هكذا تصنع كعكة البرتقال.

الثلاثة كعكة تجعل الحياة أجمل.

* * *

البنت التي تحب الورد..

حملــت صــبارة صغيرة وذهبت لقبر أمها – تستند على يد أبيها الرجل الغارق في الطيبة والحنان.

كــان يــؤرقها خاطر أن أمها لن تعود في المساء لتبيت في فراشها.

كانت كثيرا ما تنهض في الليل لتنادي أمها.

أفـــسد أبوها ذوقها في الرجال، وأنهت علاقة أبيها بأمها كل أمل لها في زواج يحكمه العقل والمصلحة والشكل الاجتماعي.

تراقب علاقة أبويها منذ الصغر..

يعامل هو أمها على أنها ملكة في البيت الصغير الدافئ.

يتأزم الأب إذا ما أرهقت الأم نفسها في أعمال البيت.

يساعدها في المطبخ ويدللها ويراقصها وتحكي له كل ليلة كل ما قرأت وشاهدت ويسمع هو.

يحكـــي لها هو كل ما واجه في يومه وعن كل من قابل من بشر.

يقتسمان النكات والأسرار والحكايا.

عندما يمرض تلمح الوجع في عينها هي – تجلس إلى جواره تمسح له جبينه وتطبع قبلات دافئة على صدره وتدعو الله لأجله.

عـــندما يـــسافر تعلـــق بيجامته التي نام بها ليلته الأخيرة في البـــيت علـــى شماعة خشبية في حجرة النوم لا تغسلها إلا عندما يعود.

تـــناديه وتضع له وشوكة وملعقة في كل وجبة. وعندما يعود تشعر بأن جزءا من روحها عاد لمكانه الطبيعي ليلتئم.

عـــندما مرضـــت الأم كان يبكي هو من الخوف عليها. كيف تبدو دموع الرجال قاسية، عظيمة، غارقة في الحب؟!

عـــندما مرضت لم ينجها من براثن الموت غير الحب الذي أحاطها به...

غيـــر طوفان العشق الذي ضم به أنامله على قلبها وروحها حتى بقت...

متى ماتت؟!

كيف تسللت روحها من وسط كل هذا؟!

هنا تكمن خدعة الموت الكبرى.

البنت التي تحب الورد..

نشأت مدللة.. لم تجرب طعم صفعة على وجهها..

ولا قسوة ولا قهرا.. فقط رغبات مجابة وحنانا ونعومة.

البنت احتاجت عشرات السنين لتستوعب الوجه الآخر للعالم. لـــم يعد في قلبها موطن لرتق ومع ذلك لم تفقد بهجتها ولا نعومة روحها.

تـــصدق دائمـــا إن كل الشر والألم والجنون لا يجيدون قتل الأرواح التي تحلق كالطائرات الورقية...

وإن الطائرات الورقية رغم هشاشتها قوية.

وحـــدها تستطيع أن تلامس السماء – تنعم بجمال المدينة في النهار وتعانق النسيم البارد في المساء.

تلفت أنظار الدنيا كلها بألوانها ومرونتها.

البنت لها روح طائرة ورقية.

الولد الحزين يحب الحمامات البعيدة في السماء..

يرقبها، ويحسب نفسه منها وبينها.

يفكر في الحب برقتها.
وفي الوليف بحساباتها.

لا يجـــرؤ أحد أن يخبر البنت بحقيقة أنها فتاة وليست طائرة ورقية، ولا أن يخبر الولد أنه رجل لا طائر.

* * *

البنت لديها أب لم تحظ به أي من رفيقاتها.
دوما كان صانع مساحات البهجة والحب في عالمها.
معـــه كانت تلعب كل مساء وتمارس ضوضاء خاصة بهما.
معـــا يطرقان على أغطية الأواني بالملاعق.. يصفقان.. يصنعان قطارا.
ويحكي لها حكايات سيئة عن صياد لديه أطفال.. تتظاهر هي بالنوم لتهرب من حكاياته الرديئة.
عندما كبرت عرفت إن الحكي في هذا البيت مهنة النساء..
وإن الرجال يصنعون الحب والدفء.
تنهـــي دروسها كل يوم وعند موعد عودته من العمل تنتظره في الشرفة.
لا احد ينتظر أباه بشوق ولهفة كما كانت هي.
هو رجل الحلوى والقبلات واللعب والورد.

يأكل في عجلة ويصحبها للشارع.. معه تعلمت معالم الأماكن الغائمة في ذاكرتها الطفلة.. معه صنعت عالمها الخاص.

زحـــام الأزهر والحسين في العيد لشراء البالونات والألعاب النارية..

شـــربات اللوز من عند جروبي.. طبيب العيون لصنع نظارة طبية.. اكتشاف محلات الكشري.

تـــسأله بطفـــولة عن ذلك المحل المزدحم وعما يأكله الناس هـــناك. يخبـــرها أنه "كشري". كطفلة تمارس مهام عملها تتعلق بذراعه وتلح في الدخول.

يخبـــرها أنـــه مريض ويشعر باحتقان في حلقه تصمت لكنها تبدو حزينة.

هل يحتمل هو ذلك؟!

يدخلان ويأكلان.

في المساء ينام في الفراش وترتفع درجة حرارته وتقلق عليه أمهـــا لـــم تجئ أية فرصة للبنت التي تحب الورد لتخبره أنها تألمت في تلك الليلة بشدة لأجله وأنها تشعر بالأسف على فعلتها.

كمـــا لم تجئ لها أية فرصة أن تعبر لأمها عن رغبتها القوية في تقبيل يدها.

لكنها – ومنذ وفاة أمها – تعلمت ألا تعطل كلمات الحب على شفتيها تجاه من ترغب في توجيهها لهم.

بعد وفاة أمها.. صار الأب دائم الحزن.

في الصباح ينادي أمها كما كانت تفعل الأم في غيابه.

يـصنع لهـا كوبا من الشاي.. يتناول ملابسها من الدولاب ويـضعها وسط كومة الغسيل المستعملة قبل أن تضعها فتاة الورد في الغسالة. بهذه الطريقة يمكنه أن يلمح ملابس الأم منشورة على الحـبل عند عودته من العمل.. هكذا يرى الملابس مختلطة وسط ملابسه يتابع حركة يد البنت وهي تطويها.. يأخذها منها ليرصها في الدولاب نظيفة مكوية بها رائحة الأم مختلطة بها رائحة البيت والـدفء والحـب فيبتسم ويظن للحظة أنها موجودة قبل أن يعود ليتذكر أنها ماتت. يئن كثيرا في الليالي الطويلة باسمها.

فـي الصباح يخبر البنت التي تحب الورد أن أمها زارته في الحلـم وأنهـا قالـت لـه وقالت ويحكي وعيناه تلمعان بالفرحة والدموع.

فـي أيام أخرى يجلس على طرف فراش البنت ويخبرها أنه لا يصدق أن أمها ماتت.. يشعر بوجودها في البيت.

البنت تهز رأسها ولا تتحدث.

فـي نهايـة اليوم الأب يحكي لها عن فراشة خضراء باهتة جميله دخلت البيت وانه شعر إنها أمها.

تلمـع عيناه بالفرحة قبل أن تغيب بلمعة الدموع التي تمتزج هذه المرة بدموعها وتسيل.

* * *

الولد الحزين يخاف أيضا من الوحدة.

يفكـــر فـــي وضـــع المقهى والعمل والميدان وماسح الأحذية والأصـــدقاء في حقيبته والعودة للبيت.. هكذا يمكن أن يهرب من الـــوحدة بعـــضا مـــن الوقت قبل أن يشتاق إليها من جديد فيفرغ حقيبـــته من الناس والأماكن ويعود ليجالس الصبارات التي توشك أن تموت.

البنت التي تحب الورد..

تعطي للولد وردة..

يخبرها الولد الحزين أنه لا يعرف الورد ككائن يمكن اقتنائه يـــسألها كـــيف يعتنـــي بالـــوردة. تهمس له بأن يضعها في الماء ويمـــنحها قطعـــة ســـكر وابتسامة كل صباح. ربما لمسة قد تفي بالغرض.

فـــي البـــيت يضع الولد الوردة في الماء ويمنحها قطعه سكر وينسى أن يبتسم لها، ويخجل من لمسها.. تحزن الوردة وتغضب البنت ويغادران.

الولد الحزين لا يعرف ما الذي أغضب الفتاة!

ولا يجـــد ســـببا لموت الوردة لكنه بعد فترة يفكر أنه سيهدي حبيبـــته وردة ويوصيها أن تضعها في الماء وتمنحها قطعه سكر وابتسامة وربما لمسة حانية من شفتيها.

البنت

تفكر كثيرا في الولد الحزين.

تفكر أن تصنع بينهما عالما افتراضيا أكثر بهجة.

تشتري فنجانين من القهوة تتقاسم معه القهوة في الصباح في شرفة حجرتها، رغم عدم حضوره للمشهد.

تتركه يصفف لها شعرها الغجري المتكسر...

تتشاجر معه لأنه يعتبر الوزة كائنا لطيفا.. تصر أن البطة هي الكائن اللطيف.

يهمس لها بأن البطة تأكل الذباب.. تغضب منه.. تكذبه تماما وتصر أن الوزة هي التي تفعل ذلك.

لا يصلان لنهاية ولا لحل.. تقاطعه وتخبره أنها تحبه.

عند هذا الحد يغادر المشهد.. تتلاشى الضحكات والدموع ولا يبقى سوى صمت مطبق في خيالها الحزين.

* * *

تبدو فتاة الجريدة بيضاء كالشمع...

البنت التي تحب الورد تنزعج من الفتيات البطيئات.. متوهجة هي وتحتاج لكون أكثر سرعة ليسعها.. معظم الفتيات في مجتمعنا الشرقي يتظاهرن بالبطء.

يشكل البطء في عالمهن دلالات أنوثة. فتاة الورد تسكنها روح طائرة تبدو غريبة على عالم النساء.

فـتاة الـورد تلتقي فتاة الجريدة كثيرا في الندوات وسهرات المثقفين العبثية.

تـتجاذبان قلـيلا أطراف الحديث لأن كلا منهما ليس النوع الذي تفضله الأخرى.

في ذلك النهار الهادئ التقيا في المقهى وحدهما.. أشعلت فتاة الجـريدة سـيجارتها وأسندت رأسها على يدها وقالت للفتاه التي تحب الورد: "تعرفين أني أكرهك؟!"

هـزت فتاة الورد رأسها وقالت لنفسها: "أعرف لأن القلوب تثرثر كثيرا رغم حيطة أصحابها".

أكملت فتاة الجريدة: "تستفزني طريقتك في الحياة" قالت ذلك وسكبت ما تبقى من فنجان القهوة على الطاولة وغادرت.

فتاة الجريدة وفتاه الشيشة صديقتان.

تحكي فتاة الشيشة للبنت التي تحب الورد قصة فتاة الجريدة.

تخبرها أن أبوها سكب زجاجة من ماء النار على جسد أمها بيـنما كانت نائمة.. وأن أمها ضربته وهو نائم بآلة حادة وتسببت فـي عاهـة مستديمة له في عينه اليسرى، وأنهما قضيا أكثر من نصف حياتهما في الأقسام ومحاكم الأحوال الشخصية.

تكمـل فـتاة الشيـشة قائله إن فتاة الجريدة تزوجت منذ عام وخلعـت زوجهـا منذ أسبوعين.. تعرف فتاة الورد إنه ذلك اليوم الذي قابلتها فيه واعترفت لها بأنها تكرهها.

عـرفت أيضا أن سبب خلعها لزوجها انه يضاجعها كثيرا.. هكذا قالت على الملأ. قالت وهي تبكي من الحقد: "لا أحتمل فكرة أنـــي أســـبب لـــه شيئا من المتعة. يحرقني ذلك" اعترفت أيضا للأصـــدقاء أنهـــا كانت تفكر في وضع السم له في كل مرة تصنع فيها الطعام.

قالت ببساطة إنها تكرهه موت.

عـندما أصـــبحت مطلقـــة أخيـــرا لفـــت له طفلته الصغيرة ووضـــعتها لـــه أمام سيارته في صباح شتوي بارد وقالت إنها لا تريد أن تربي له طفلته بينما ينعم هو بحياته.

البنت أصابها القرف.

وصـــارت تتجـــنب النظر في عين فتاة الجريدة وتوقفت عن شراء الجريدة التي تعمل بها.

* * *

الفتاة التي تحب الورد تحب كونها بنتا.

تحب عالم البنات. تراه عالما ثريا – ناعما– خاصا جدا.

"قرمزي لون مزاجها"

مغـــرمة بـــألم المرض الشهري... تتوجع وتبقى طوال الليل مـــستيقظة من الألم ومع ذلك تبتسم وتقرر أنها ليست غاضبة من جسدها.

يــزعجها فقــط انخفاض ضغط دمها والدوار الذي يسببه لها ذلك.

لكنها تشعر في داخلها جدا في نقطة بعيدة أنها سعيدة.

"كراميل"

كانت تتمنى أن تعرف كيف تصنع الجدات عجينة السكر.

ذلك الطقس البعيد في ذاكرتها.

تــصنع علــى الــنار وتقلب ثم تصب على رقعه باردة من الأرضية..

تجتمع حولها نساء مدينتها الصغيرة..

تأخذها يد خبيرة تدورها وتشدها..

يقتسمنها بينهن..

وتسمى كل قطعه باسم صاحبتها التي ستستخدمها.

تخبــرها خالتها بأن من تدوير قطعه الحلوى هذه بإمكانها أن تعرف الكثير عن زوجها الذي ستقابله فيما بعد..

ينتابها فضول أن تعرف.. تسألها..

تبتــسم الخالة وتتناول فتاة الورد لتدورها لها عندها تسمع لها صــوت طقطقــات كثيــرة.. تبتسم وتقول لها إنها ستقابل رجلا يحبها.. تبتهج للنبوءة.

وتــصدق عندما ترى قطعا أخرى تخص أخريات لا تصدر أي صوت.

تحتفظ الفتاة التي تحب الورد بسر قطعتها وتنتظر.

لم يعد هناك من يصنع لها قطع السكر تلك.

تستخدم صديقاتها ماكينة الكهرباء.. سريعة، نظيفة وآمنة.

عندها فوبيا من استخدام الكهرباء.

لا تتخـيل نفسها تضع آلة على جسدها وطرفها الآخر "فيشة" توصل الكهرباء.

ترفض تماما ذلك الاختراع.

تحـب قطع السكر. تشتريها الآن من الصيدليات.. علبة بلاستيكية حمراء برائحة ماء الورد – النوع الذي تفضله

هكـذا يمكنها أن تسحب منه قطعه في ليالي الصيف الحارة الهادئة..

تـدورها وتسمع صوت طقطقتها وتبتسم لأنها ستعرف رجلا يحبها.. هكذا تنبئها قطعتها..

عـندما تلامـس ذلـك الزغب الأصفر الخفيف على بشرتها تبتسم...

بعض الألم ورغم ذلك تعرف أنها سعيدة.

عندما يسقط الماء على جسدها يمحو آثار السكر ويبقى على رائحة ماء الورد. تنتعش.

تبقى بشرتها ملتهبة ساعات بعد دغدغات السكر.

يعجبها لونها هكذا.

في اليوم التالي تبدو ناعمة كما تحب.

ولا تنسى أن تبتهج لأنها بنت.

تفكـــر في الولد الحزين كثيرا وهي تسمع طقطقات عجينتها في المساءات الهادئة.

تفكـــر في جدتها وفي طقس جماعي لم تشارك هي فيه لأنها كانت وقتها مجرد طفلة لم تحب الورد بعد ولا عجينة السكر.

* * *

يظن عجوز المقهى أن الولد الحزين والبنت التي تحب الورد مغرمان ببعضهما.

لا أحد غير البنت والولد يعرف أن ذلك ليس حقيقيا.

البنت مغرمة بالحب..

والولد مغرم بالحزن..

وبـــين الإثنـــين أمـــيالا مـــن الصحراء والأنهار وبعضا من السراب والعواصف قد تفي تماما بالغرض.

"التـــيه الأبدي" هو ما قد يواجهانه في رحلة يبحث كل منهما فيها عن شيء لا يملكه الآخر..

الـــولد الحـــزين يريد البهجة التي لا تعرف البنت عنها سوى حكايـــات الجدات لأن الموت عظيم مهيب في ذاكرتها له حضور أقوى من الجنون ذاته.

والبنت تريد الحب والولد لا يعرف أن يحبها دون قلبه.

وقلبه هناك بعيد – لا يعرف أحد كيف فقده، ولا متى قد ينبت له قلب جديد.

عجوز المقهى رقيق القلب..

احتاجا أسابيع طويلة للاعتياد على وجوده..

ثم صارا يفتقدانه.

لعجوز المقهى ثلاث قصص يحكيها رواد المقهى بشكل مختلف حتى صنعت عشرين قصة تزداد طرديا بمرور الوقت واختلاف متلقيها وناقليها.

تبقى الحكايات الأقرب للتكرار أنه أرمل وحيد. يشتري نوعا من الفطائر من مخبز قريب للمقهى في المساء قبل أن يضعه في أطباق بلاستيكية خضراء في الصباح ويقدمه للبنت التي تحب الورد والولد الحزين وفتاه الجريدة والفتاة التي كانت تدخن الشيشة ثم صارت صاحبة قلب مكسور وتوقفت عن التدخين، ويقدم بعضا منه لفتاة الجريدة التي ترفض تماما أن تأخذ منه أي شيء.

يحكي عجوز المقهى عن زوجته التي صنعت له الفطائر هذا الصباح لأنه أخبرها عن أصدقائه في المقهى.

من وقت لآخر كان عجوز المقهى يزور البنت التي تحب الورد في نومها. تراه يرتدي ملابس رواد فضاء يحمل سلة فضية يوزع منها فطائر المخبز ويبتسم.

منذ ماتت القطة حنة لم يعاود عجوز المقهى الظهور.

عـــندما سأل عنه الولد الحزين والبنت التي تحب الورد لم يبد على أحد أنه يذكره.

أنكر الجميع كل الذكريات المشتركة التي صنعها مع المقهى والمخبز والأصدقاء.

بعـــد ذلـــك بفترة طويلة وبينما يجمع الولد الحزين الصحف والكـــتب القديمة الشغوف بها وجد صورة رجل المقهى في كتاب يحكي عن أسطورة تحدث وتتكرر.

تحكي الأسطورة عن رجل يظهر في مقهى هادئ في الصباح ومعه قطة..

يـــصادق الأولاد الغارقين في الحزن والفتيات اللاتي يعشقن الورد..

يهديهم بعضا من فطائره وأمنياته..

ويتـــرك لهـــم بعـــضا من حكاياته وأسراره.. وتموت القطة ويرحل هو.. وينساه كل من رآه.

لا أحـــد يذكره غير ولد وبنت قدر لهما أن يجتمعا ولا يفرق بينهما أحد.

* * *

البنت التي تحب الورد تعشق مصاصي الدماء.

فـــي المساء تحلم بمصاص دماء يزور فراشها.. يثقب عنقها بعنف..

تعض على شفتيها حتى ينتهي الألم والحزن وتبدأ النشوة..

ينبت لها جناحين للطيران فوق أسطح المنازل الحزينة.

الـــولد الحـــزين يفسر لها رغبتها بأنها احتياج للحب – ربما مازوخية الرغبة ثم يصحح لها فيقول: "عنف ممارسة الحب. هل تعرفينه؟!"

تخبـــره وهي تبتسم أنها تظن أن الحب يجب أن يكون عنيفا. هكذا يمكنه الصمود أمام جنون الحياة وقبحها.

الألم – الوجه العظيم للمتعة.

الألـــم هـــو الثقب الذي نرى منه العالم بوضوح – لحظة أن تـــصرخ مـــن ممارســـة الحب ويتألم هو فرط اللذة.. تبدأ فلسفة الخلق.

الخلاص للطفل من رحم أمه.

تحرر الجنون من النفوس الهادئة المتزنة.

تـــسأله هـــل هـــناك ممارســـة حزينة لفعل الحب.. يضحك ويخبـــرها أن الحزن والحب لا يجتمعان وأن المحبين يفعلون ذلك في الليالي الحزينة الباردة للمقاومة – يفعلونه لأجل الحياة.

الحـــياة التي تحتفي بها البنت وترى أنها تستحق.. وتفكر في كل الألم العظيم الذي جربته في الحياة وكيف عمدها وأعاد خلقها.

الولد يفكر أن لذة ملامسته رقبتها كما تحب هي سيبدو ملائما لأحلامـــه الشريرة التي يتبرأ منها ويفكر أيضا أنه ذلك الألم الذي قد يكسر عنه دروع الحزن.

فقط لو كانت هي هي "حبيبته التي ينتظرها".

البنت التي تشتاق مصاص دماء باتت تحلم بالولد الحزين في كل المساءات..

يتكرر الحلم ذاته..

يطرق زجاج شرفتها تسمح له بالدخول..

مـــصاصو الـــدماء والأولاد الغارقـــين في الحزن لا يمكنهم اختراق الجدران إلا بدعوة الدخول

يجلـــس إلـــى جـــوارها على طرف الفراش. عيناه غائمتان بالدموع.

تبـــتهج لـــرؤية الدموع الحبيسة.. تعرف أن لحظات الالتئام أوشكت.

فـــي هذا الجزء من الحلم يحرر هو ألمها و تمنح هي دموعه قوة الخلاص.. يغرقها بدموعه وتغرقه بدمها.

بـــين الـــدم والدمع والصراخ والبكاء والألم والنشوة يتحرر الحب.

الولد الحزين يرتدي جناحيه ويقبلها بين عينيها ويغادر.

* * *

البنت التي تحب الورد..
تبحث عن سبيل للخلاص من عشق الولد الحزين.

علـــى دقات الدفوف وارتعاش أجساد النساء وهستريا الإيحاء تسقط وسط الدائرة.

خمس نساء.. يتبادلن فعل الدق بعنف على الدفوف..

البـــنت تطـــبق بـــيدها على صدرها. تشعر إن قلبها سيغادر جسدها بفعل الدق العنيف.

في قوة رجل كانت تلك التي تحتضنها من الخلف.

بـــدت فتاة الورد في يدها كعروسة ماريونت.. على الأرض اخـــتلطت خـــصلات شـــعرها الغجـــري المتكسر بحبات التراب المختلطة بالبخور الذي لا يحب الولد الحزين رائحته.

العباءة البيضاء المقصبة.. خصلات الحرير الذهبية تمتد من صدر العباءة حتى قدم البنت التي تحب الورد.

مخـــضبة قدمـــيها بالحناء.. مرسوم على كفوف يدها مفتاح الحياة الذي يحبه الولد الحزين وواقعه هي في غرامه.

تنتهـــي طقـــوس التخلص من روح الولد الحزينة التي تسكن قلب البنت..

تستسلم فتاه الورد لكل الطقوس عند آخر مشهد تراهم يحملون باقات الورد ثم يمزقون الورد وينثرونه في كل مكان تتعالى الدفوف من جديد.

تتزاحم الخمس نساء عليها. يقتلون كل الوردات المتاحة.. يحملون الفتاه من يدها وقدميها كأنها ميتة. يفرشون بها سماء الحجرة المعتمة إلا من ضوء شمعه متسخة.

في النهاية تنفخ إحداهن في الشمعة وتتوقف الدفوف.

يسود الصمت والظلام والألم.. ولا تغادر روح الولد الحزين..

* * *

البنت تشتاق لأن تحممها أمها.

في الحلم تذهب لقبرها.

تزيح الصبارة التي كانت صغيرة ثم أصبحت عملاقة لأن أمها سكنت هناك منذ فترة ليست قصيرة.

تنبش هي القبر وتزيح عنه أحجاره.

تمتد يدها وتصلها يد أمها تعرفها تشدها تشد معها تناديها تصرخ ثم تصحو من نومها.

تحكي للولد الحزين عن الحلم"

يهز رأسه ويخبرها أنه لا يعرف أن يفسر الأحلام.

تبكـــي وتخبره أنها خائفة وحزينة وتشتاق أمها.. يربت على يدها.

تسأله أن يحكي لها حكاية.. يبتسم.

يفكـــر قلـــيلا ثـــم يقص عليها حكاية عن بنت تحب الورد.. تـــشتاق أمها.. تكمل له الحكاية عن ولد حزين يمشط لها شعرها في الحلم.

يقتـــسم معها سماء المدينة الحزينة في الليل.. يتسلم منها دفة الحكي.

فيحكـــي لهـــا عـــن رائحة البحر التي تحيره.. وطعم البنات اللاتـــي يلتهمهم في خياله كل مساء ونكهة الحب التي تبقى عالقة في ذاكرته كل صباح.

تسأله أن يحكي ثانية..

الولد الحزين يحكي لها عن الشوق..

يشتاق عالمه البعيد المرسوم على خريطة مهترئة في ذاكرته.

الولد يمسك يد البنت ويمر بها على خريطة عالمه.. تدغدغها أشجار البرتقال وأعواد القصب.. تفلت يدها منه وتجري.. يدركها تحت نخلة كان يودعها أسراره ويأكل رطبها.

تجلـــس وتسأله أن يمنحها تمرا.. يضحك ويصنف لها أنواع البلح والنخلات.

فـــي نهاية الحكاية يقتسم معها تمرة بقت في يده منذ سنوات الغربة.

فتاة الورد والولد الحزين لا يملان من الجلوس معا..

تحكي ويسمع أو يقص عليها وترتقب.
ينبش في روحها وتخربش هي في أعماقه..
يجرحها. تعرف أنه يفعل!
وتدمي كيانه. يعرف أنها تفعل!

* * *

الولد يغضب من البنت لأنها تحوله لكتابة.
يتحسس الثقوب التي تصنعها في جسده لتنفذ نحو روحه.
يقرر أن يقاومها..
البنت تكتب أن الولد الحزين يقاوم ويرفض أن يتحول لشخصية ورقية يخاف أن تسلب منه مادية وجوده تلك التي يشك كثيرا في حقيقتها.

تتعجب من الخوف المرضي لدى الولد الحزين من أن يتبخر إذا استمرت في كتابته.
يثور عليها في ذلك الصباح عندما يقرأ ما كتبته عن ليلتهما الافتراضية الأولى معا..
يسألها كيف تسمح لنفسها أن تستبيح ما بينهما هكذا.
كيف تخبر الدنيا كلها في "نوت" مكتوبة على الفيس بوك تفاصيل تلك الليلة الحميمة؟

تخبـــره أنهـــا كتابة – مجرد كتابة – الولد يغضب ويتركها ويرحل.

فـــي صفحتها الأسبوعية بالمجلة تكتب عن ولد حزين يقاطع حبيبـــته لأنها اختارته أن يكون ملهما وهي تكتب عن ليلة حميمة أولى بين رجل وامرأة كلاهما يفكر في عشق الآخر لكنه لم يحسم أمره بعد.

فـــي المـــساء يجلـــس الـــولد الحزين على الكمبيوتر ويقرأ " النوت".

وفي ذات المساء تجلس فتاة الورد على فراشها تقرأ ما كتبت وتبكي.

* * *

البنت التي تحب الورد مغرمة بأتوبيس.

له رقم يشبه سنة ميلادها.. تستقله من الميدان الكبير.

لا تستغرق رحلته سوى نصف ساعة.

يصل لمحطته الأخيرة تلك الكائنة أمام بيتها

تـــستقله علـــى أنه سيارتها الخاصة.. تحبه كطقس مبهج في عالمها..

تدشن فيه وبه علاقاتها بالآخرين.

لن تعرف أنك صرت صديقا لها إلا عندما تقتسم معها رحلة في هذا الأتوبيس.

يؤرقها هاجس الفقد..

كل صباح تطل من شرفة البيت لتطمئن على وجود ذلك الأتوبيس – آلة الزمن – كما تسميه هي.

تخشى أن تقرر هيئة النقل والمواصلات فجأة أن تلغيه بسب قصر رحلته.

تخبر الولد الحزين بمخاوفها تلك عندما يصالحها – بعد أن تعده ألا تنشر ما تكتبه عنهما مرة أخرى على الملأ.

البنت في قراره نفسها تعرف أنها لن تتوقف عن كتابته.. لكنها ستغير وسيلة النشر. ستعلق كل ما تكتبه عنهما على جدران بيته الصغير الذي ساعدته في طلاءه مقابل أن يجيء هو ويساعدها في غسل صحون مطبخها.

الفتاة تساعد الولد الحزين في ترتيب بيته الجديد.

بيت صغير من حجرتين وصالة مستطيلة تشبه المقهى الذي يحبه الولد الحزين وفتاة الورد..

يضعان الكتب في أكبر حجرة في البيت.. استغرق الأمر يوما كاملا لترتيب الكتب ورصها. ثم استلقيا في الصالة ساعات طويلة دون حركة.. لا شيء سوى حكايات هامسة من البنت التي

تحـــب الورد التي بدت متعبة ومتربة وسعيدة كما لم يكن أحد من قـــبل، بيـــنما بقي الولد هادئا صامتا ينظر لسقف الصالة ويتساءل عـــن ذلـــك الكائن المزعج الفوضوي الذي جاء ليفسد عليه وحدته وحـــزنه.. تلك البنت التي تحب الورد التي تترك شيئا من روحها فـــي كـــل أشـــيائه وتتدخل في كل عاداته وتعيد تدوير العالم من حوله.. كان الولد الحزين متحيرا مرتبكا لكنه في نقطة بعيدة جدا في شعوره كان يعرف أنه هو الآخر ممتن وسعيد.

* * *

فـــي بدايـــة علاقـــة فتاة الورد والولد الحزين غير المغرمين ببعـــضهما على الإطلاق لأنه مهووس بالحزن بينما مهووسة هي بالحب، لأنه غارق في الصمت وغارقة هي في الضوضاء..

لأنـــه يحـــب الـــنهار بينما تحب هي الليل.. لأن الوقت الذي يستعد هو فيه للنوم تبدأ هي يومها بـــ"مج" النيسكافيه.

ولأنها تحب شوربة الطماطم التي لا يطيقها هو، بينما مغرم هـــو بشوربة المشروم تلك التي لا تحبها هي ولا تنوي أن تعدها له.

تدعوه لمشاركتها رحلة الأتوبيس.

الولد الحزين يسألها بتردد: "ينفع؟"

تبتسم وتهز رأسها بالإيجاب.

في المرة الأولى يعتذر.

فـتاة الـورد تعـرف أن الولد يحب أن يتحدث عن التاريخ والسينما.

قـرب وصول الأتوبيس للمحطة تفتح معه موضوعا تعرف انه لن يقاومه.. يلتقط الطعم ويبدأ.

تبدي تأثرها وهي تنسحب من أمامه لوصول أتوبيسها.

يـستوقفها وهي ترحل ويسألها أن تدعوه على رحلة في آلة الزمن.

في الأتوبيس لا يتحدثان عن تاريخ العالم ذلك الذي لا يعنيها – مشغولة هي بصنع تاريخها الخاص على جدران قلبه.

تقص له كل حكاياها السرية في آلة الزمن.

تخبره عن كل صديقاتها اللاتي اقتسمن معها رحلات فيه.

وعـن الولد الذي كتب لها قصيدة شعر وهو يرافقها في ذلك اليوم الصيفي البعيد.

حكـت له عن أمها التي تحب القراءة والسينما والحياة وكيف أنها استقلت هذا الأتوبيس أول مرة قبل ولادتها بشهرين.

هكـذا حكت له إن أمها كانت على وشك ولادتها.. واقترحت علـيها أخـتها أن تذهب لمحل تعرفه لتشتري صورا لقطة وبطة وبعـض الدانتـيلا لتزين بها الجلابيب الصغيرة التي صنعتها لها جارتنا.

توضـح له البنت أن ملابس الأطفال لم تكن متوافرة كما هي الآن – يحتاج الأمر لبعض الترتيبات لتدبيرها.

فـــي الأتوبـــيس وقفت أمها وشعرت بدوار ثم أفرغت ما في جـــوفها علـــى ذلك الرجل الذي بدى لفتاة الورد شرير لأنه سمح لنفـــسه أن يجلس بينما تقف إلى جواره سيدة لم تعتَد الخروج من بيتها وعلى وشك الولادة.

وهكذا نال جزاءه الطبيعي.

تدمع عين فتاة الورد وهي تحكي للفتى الحزين أن أمها كانت تضحك كثيرا كلما حكت لها هذه الحكاية.

لا تنـــسى أن تخبـــره قبل أن تصمت أنها اشتاقت أمها جدا، وأنهـــا تـــريد طفلة تصنع لها فساتين وتزينها بقطة وبطة وبعض الدانتيلا البيضاء.

* * *

البـــنت التـــي تحب الورد وفتى الحزن يخافان الفقد كل على طريقته.

هـــي تمارس الحب مع جدران عالمها طوال الوقت.. تتمسح في لحظات السعادة.. تهتم أن تصنع ذكريات مشتركة مع كل من تحب.

تكثف حضورها في حياة من تحبهم لتذكرهم ويذكروها.

تصدق أنه بالحب فقط قد نقهر بعضا من الفقد ونبقى أكثر في ذاكرة الدنيا.

هو يواجه الفقد بالهروب.

يغـــادر عـــوالمه التـــي يحبها.. يقتصد في اتكائه على النقط المشتركة مع العالم الذي يحبه.

باعتياده على الهروب والوحدة يمكنه أن يقاوم الحزن..

بهـــذه الطريقة لن يتمكن الحزن من كسر صلات هي أصلا ليـــست موجـــودة.. ولا إيلامه لرحيل أشخاص هو أصلا لم يرهم منذ سنوات..

الولد يظن انه هكذا يلاعب الفقد والموت، ويقاوم الحنين.

هما يظنان أنهما أنهيا كل قدرتهما على الحزن في هذا العالم.

لكـــنهما كثيرا ما التقيا ليختفي كل منهما مع الآخر عن عين الوجع.

* * *

البنت التي تحب الورد اشترت كاميرا..

بعد لحظات صارت مولعة بالتصوير.. تمشي إلى جوار فتى الحـــزن تلـــتقط صورا للشوارع التي تحبها ويتفق هو معها على حبها.

يختارا أيام الإجازات للتسكع في الشوارع والتقاط الصور الولد يطبق على أناملها وهو يعبر بهم الأرصفة والطرق. يشتري لها قطع الحلوى بنكهة الفراولة..

تخبـــره أنها ستتزوج رجلا لا يخجل أن يقتسم معها جنونها.. ولن يحاول تهذيب شجيرات المرح في عقلها.

يخبـــرها أنـــه ســـيتزوج فتاة جريئة، تحب السفر والشوارع الفارغة، وتدحرج علب البيبسي المعدنية الفارغة تحت التمثال في الميدان الذي يحبه.

البنت التي تحب الورد تحكي عن فتى الحزن..
الولد الحزين يصف فتاة الورد..
ولا أحد فيهما يعرف أين يجد نصفه الآخر التائه البعيد.

* * *

في الحلم..

يتعرف الولد الحزين على أم البنت التي تحب الورد.

فـــي ذات الحلـــم .. يسافر فتى الحزن وتطلب منه البنت أن يشتري لها "جعرانا فرعونيا أبيض".

الـــولد الحـــزين يـــنادي البنت لأول مرة في نفس الحلم بـــ "حبيبته".

عـــندما تـــستيقظ فتاة الورد تجلس على طرف فراشها وتعيد بصوت خافت الكلمة "حبيبتي وتبكي.

* * *

البـــنت تـــشتاق أتوبيسها. تفرح في كل مرة تركبه كأنها أول مرة..

تفكر كثيرا في فتى الأتوبيس.

عندما تلمحه يتجول في "الميدان" تعرف أن الأتوبيس وصل.

يستقل الأتوبيس مثلها ويحبه.

فـــي الـــصباح يغادر بيته القريب من بيت فتاة الورد بعد أن يتـــناول عـــصا صغيره من خشب أقفاص الفاكهة ويأخذ سندوتش فول من أمه ويتجه نحو الأتوبيس.

يـــركبه فـــي الصباح في التاسعة ربما. كثيرا ما تلمحه الفتاة وهي ذاهبة لعملها لأنه لا يمر من هناك.

يبقـــى – فتـــى الأتوبـــيس – جالسا في الكرسي الأول جوار الـــشباك يتفـــرج علـــى الشوارع والنهر ويصل لنهاية الخط في "المـــيدان".. يـــتجول قليلا في الموقف.. ينادي على الناس بكلماته المتلعثمة غير الواضحة.

ثم يعود لمكانه قبل أن يغادر الأتوبيس للعودة مرة أخرى.

لا يمكـــن لأحـــد أن يعتدى على مكان – فتى الأتوبيس – أو يشاركه في الكرسي..

فـــي هـــذه الحالة سترى وجها آخر للفتى غير الوجه الوديع الهادئ الذي تراه طوال الوقت.

سيصرخ ويضرب من حاول الجلوس. تظنه الفتاه يعوي من الألم والقهر إذا ما حاول أحد تغيير الطقوس.

* * *

الـــولد الحـــزين يحرر روح فتاة الورد تماما كما يفعل أبوها الرجل الغارق في الطيبة ثم صار كما الولد غارقا في الحزن..

الولد والرجل كلاهما يحرر روح البنت.

كلاهما يذيب طوال الوقت قطع الشمع الأحمر المطموس بها على عقول وأجساد النساء منذ الأزل.

مع أبيها تشعر أنها قوية مكتملة..

مع الولد تشعر أنها حرة مدفوعة بقوى سحرية.

في وجودهما تعرف أن الحياة أجمل وأكثر احتمالا...

تبكـــي على راحتها في حضن أبيها.. وتختبئ بلا خجل بين يدي الولد.

* * *

البـــنت اعترفت للولد الحزين أنها فكرت في اقتناء الكاميرا لتمسك بلحظات السعادة.

لتلتقط صورا لكل من تحب..

تخبـــره في همس وكأنها تحادث نفسها أنها حزنت لأن الفتى الـــذي يحـــب العـــدس على الرصيف مات دون أن يترك صورة واحـــدة تجمعهمـــا رغـــم أنها اقتسمت معه لحظات كثيرة مبهجة سعيدة.

تخبـــره أنها تحب أن تتفرج على نظرات الفرحة في عينيها وعيون أصدقائها في الصور.

قالت له: "في الصور أعرف أن أمسك بالسعادة. أوقف عندها الزمن واستدعيها وقت أن أريد. في الصور ليس هناك فقد".

البنت تلتقط صور كثيرة للولد الحزين.

فـــي الـــشارع والمقهى والعمل.. في الصور تلمح الحزن.. تحاصره.. وتفكر في طريقة لمقاومته.

* * *

رجـــل الجـــريدة يحب فتاة الورد على طريقته. يخبرها أنها غالية عنده..

البـــنت تحب ذلك الرجل.. تكتبه كثيرا في قصصها.. تصور أن بينهما علاقة.

تفاجـــأ دوما عند كتابتها لها أنها علاقة مادية خالصة، عكس تلك التي تجمعهما في الواقع..

فـــي الحقيقية بينهما أوراق وأقلام وكتب وعمل وحوار. في الكتابة بينهما لمسات ودلال ومراوغة وحضور للجسد.

تفكر أن نظرات رجل الجريدة لها نظرات اشتهاء. هو أيضا يحرك فيها شيئا لا تعرف تسميته.

تقابلـــه علـــى فترات متباعدة.. ويخبرها دوما أنه يفكر فيها، ويـــصمت. وربما يخجل من أن يكمل كلامه.. وربما ينتهي الكلام عند حد أنه يفكر فيها فقط.

أو ينتهي التفكير بالتفكير.

تبتسم وتفرح لذلك الدلال الذي يشعرها به.

وتخبـــره أنها أيضا تفكر فيه – يبدو تفكيرها فيه لا إراديا – شـــبحيا – إن شـــاءت الدقـــة.. تشتاق جلساته وحواراته المرحة ونظراته الطيبة وحنينه الغامض لها.

تحـــب ما يكتب.. وتحب إنسانيته.. ومغرمة بشيء في روحه لا تعرفه.

شـــيء تـــبحث عنه في كل البشر طوال الوقت وتجده عنده حاضرا.. حقيقيا.. قويا.

في مناسبة خاصة به

مـــا أن حضرت فتاة الورد وناولته يدها لتحيه حتى مال على يدها وقبلها

ماذا حدث في هذه اللحظة!

لم يقبل أحد يدها من قبل.. ليس هذا ما فكرت فيه..

ملامـــسة شفتيه ليدها هو ما احتل كل تفكيرها لتلك القبلة زخم وثرثرة.

فـــي البيت تذكرت وهي تضع الكريم على يدها في المساء.. ابتسمت ثم عاتبت نفسها.. ثم عاودت الابتسام.

ثـــم حاولت الغضب وأخفقت فخجلت من نفسها ونامت وعلى شفتيها شبح ابتسامة.

* * *

يـــرتدي فتـــى الأتوبـــيس تي شيرت أحمر متسخا وبنطلون بـــيجامة تظنه كان أخضر أو رماديا يربطه الفتى من الجنب لأنه كثيـــرا ما ينزلق عنه ويلمح الناس ومنهم فتاة الورد ملابس الولد الداخلية الرمادية.

تفكر هي في أم ذلك الفتى. لماذا لا تلبسه ملابس مهندمة كما كانت تفعل في فترة سابقة بعيدة تذكرها فتاة الورد؟

تغير فتى الأتوبيس للأسوأ. تصدق البنت ذلك.

صـــار يأكل من الشارع بنهم. صار – رغم تعثر قدرته على النطق – يحاول أن يطلق السباب على المارة دون سبب.

لـــم يعد ينادي الناس بمرح عند وصول الأتوبيس للموقف بل صـــار يتجول صامتا. أحيانا كثيرة أصبحت لديه الجرأة أن يفوت الأتوبـــيس لـــيغادر دونـــه ويبقى هو في الميدان قليلا يتفرج على الناس.

تـــبدل الأتوبـــيس الأحمر الطيب بآخر عملاق أخضر. ارتفع سعر تذكرته وصار فتى الأتوبيس يمثل عبئا على سياسة التذاكر، خاصة وهو يصر أن يحتفظ لنفسه بمقعدين أماميين.

لـــم يـــسع الأتوبـــيس الأخضر الضخم حزن فتى الأتوبيس ووحدته.

اشـــتري الـــسائق والمحـــصل قطعه خرطوم كبيرة وصارا يهددان بها فتى الأتوبيس إذا ما حاول الركوب.

فـــي كـــل مـــرة يـــصرخ كالمذعوبـــين على باب الأتوبيس ويرفضان دخوله.

يهددانـــه كحـــيوان أليف بالخرطوم. يلف حول الأتوبيس ثم يجلس على الرصيف وهو يراه يغادر دونه كل يوم.

افـــتقدت فتـــى الأتوبيس. حملت لها آلة الزمن هي الأخرى حنينا وفقدا.

بإمكانها الآن أن تتذكر كل صديقاتها وأصحابها الذين اقتسموا معهـــا رحـــلات فـــي الأتوبيس. بإمكانها حتى أن تشاهد أمها في رحلتها الوحيدة داخله وهي تحملها جنينا في بطنها.

تـــرى كـــل شيء وكل الآخرين وهي تجلس وحيدة تطل من الـــنافذة تـــستقبل هواء النيل الغارق سطحه بلألآت الدموع وقت المغيب.

* * *

فتاة الورد تعاودها الرغبة في التخلص من حب الولد.

تكرر مشهد الزار.

تجلس في ركن منزوٍ من الحجرة المعتمة إلا من ضوء شمعه متسخة.

يدخل حاملو الدفوف. رجال كثيرون هذه المرة. خاوية أفواه نـــصفهم علـــى الأقل من الأسنان.. الرجل الأسمر صاحب السنة

الذهبـــية يربط على وسطه حزاما من الودع يتحرك أمامها بهدوء ينقلب بعد لحظة إلى هستريا الاهتزاز. يتعالى صوت الدفوف.

تـــدخل ســـيدة الـــزار.. تلك السمراء كحيلة العين.. بجلباب مزركش بالدوائر والمربعات.

تلك السيدة السمراء الغارقة في الأنوثة بشكل جعل فتاة الورد تفكر أنها لن تحظى أبدا برجل يحبها لأنها ليست كتلك السيدة التي تشم رائحة أنوثتها يعبق المكان.

ســـيدة الـــزار لنظـــراتها معنى.. هي ترمي ابتسامة وتجرح برمشها قلوب الرجال والنساء معا في ذاك المكان المعتم المزدحم. ترتدي الذهب الذي تكرههفتاة الورد

الذهب يمنح المكان ضياءً له رهبة.

يـــرتج جـــسد سيدة الزار وهي توزع البخور في مبخرتها.. تقف أمام فتاة الورد وتنفخ في المخبرة تستنشق الفتاة بخورها.

صـــوت السيدة السمراء التي تحتفي ببنات الحبشة في أغانيها يرج المكان "حي، صلي على النبي، يا حزينة القلب.. يا مجروحة الروح.. صلي على النبي

تمتم الفتاة بالصلاة على الرسول الكريم.

تترك السيدة المبخرة جانبا. تتناول دفا. تبدأ الدق.

تـــنادي علـــى الفتى الحزين في غناها "يا ورابيه يا اسمر يا جمـــيل". الولد ورابيه تناديه.. تستعطفه أن يحن على "راكوشا" أو ينزع حبه من قلبها.

الليلة فرحك يا عروسة.. سمرا وجميلة يا عروسة.

"راكوشا – ياا راكوشا هانم شايلة العروسة"
"يا أم العرايس يا عروسة يا حبشية يا عروسة"
"الله عليكي يا عروسة تعالي نلعب بالعروسة"

يعلـــو صـــوتها بأسى وهي تنادي على راكوشا – تلك الفتاة الجميلة الرقيقة التي أوقعها الحب في هوى الفتى الأسمر "ورابيه" الذي ولد بقلب يملؤه الحزن.

لا يعـــرف أن يـــضم فـــي قلبه شيئا مع الحزن. هكذا تقول الحكاية إن ورابية فتى بقلب يحمل الحزن دون الحب وإن راكوشا فـــتاة رقيقة تنتظر الحب. تنادي هي ومن معها في القبيلة كل ليلة ١٤ يـــوما حتـــى اكـــتمال القمر. ينادون الفتى "ورابيه". يجملون راكوشا وينتظرون. يطلقون البخور والغناء والنداء.. "آه يا ورابيه يا اسمر يا جميل تعالى نلعب مع العروسة"

فـــتاة الـــورد تسمع الغناء الحزين العنيف.. تقارن حالها بفتاة الحكاية.. تنفصل عما حولها.

تعلو الدفوف.. الدق يبدو أكثر عنفا هذه المرة.

تـــسقط طـــرحة السيدة الشفافة التي تمنحها مظهرا شهوانيا.. تـــبدو عاريـــة الـــرأس هذه المرة.. شعرها أسود ليل متموج كما شـــاطئ البحر المفروشة على سطحه أساطير المجهول والخوف. ترتفع فتاة الورد من على الأرض لا تذكر كيف!

يتعالـــى صـــوت الدفـــوف.. تغطـــي الدماء أركان الحجرة المعـــتمة.. تـــزكم رائحـــة البخور الأنوف ويغطي ضباب كثيف العيون ولا شيء سوى الصراخ وصوت الدفوف.

* * *

في الصباح تجلس بالمقهى في انتظار الولد الحزين.

لا تعـــرف أن تقاوم دموعها. تحررها قبل مجيئه. تخشى أن تبكي أمامه. هذه المرة تشعر بحرج.

لكـــنها فجـــأة وبينما تغطي نصف وجهها بيدها تشعر بمادية وجوده ترفع عينها نحوه.. يرتعد من مظهرها.. يسألها عما بها.

تبتسم رغما عنها وتقول إنها بخير.

يجلس الولد الحزين.

وتحكي كل ما يغضبها من هذا العالم كأنها تحادث نفسها..

تحكـــي لـــه عـــن مـــشكلة تؤرقها في العمل.. وعن صديق أغضبها.. وعن صديقتها المريضة.

تحكـــي وتبكـــي ويـــربت على يدها ويمنحها مفاتيح لكل ما يضايقها ويسهل عليها كل ما تراه عصيا..

مجرد أن يصل حزنها إلي شفتيها يموت.

لا يستقر في قلبها أي حزن..

القلب لا يسع الحزن والحب معا.. وقلبها عامر بالحب.

تفكر أن الولد يبدو كأوراق مذكراتها.

الولد يبدو كنقوش معبدها.. تحفظ عنده وعليه كل أسرارها.. ومخاوفها.

تـــنقل له كل مشاعرها.. تفكر إنه كتلة وهج. منه وعنده تبدأ وتنتهي كل شحنات المشاعر والحكايات عندها.

تخـــاف مـــن فقده، وترتعد من فكرة عشقه، ومن إخفاقها في طـــرد روحـــه المخـــيمة علـــى عالمهـــا رغم الدفوف والبخور والصراخ.

تجرب السفر لتداوي قلبها.

لـــم تعرف يقينا مما أرادت الفرار، ولا كيف تجمعت داخلها كـــل تلـــك الطاقة المزعجة عكسية المرور في تيار دمها فأثقلت روحها وأجهدت كيانها كله.

علـــى وشـــك التداعي والانهيار لملمت حقيبتها.. في حالة لم تصل لها من قبل.

عازفة عن الكلام والحكي.

تنشد هدوءا يحيط بوجعها.. يهدهدها.. يساعدها أن تشفى، أو تعـــيد ترتيب أوراقها.. ربما حتى تمزقها لتبدأ من جديد من نقطة بلا تيه ولا مرار.

لأول مـــرة تشعر وهي تخرج من مدينتها بتحررها من وطأة قيود الروح.

مـــع كـــل كـــيلو تبتعده السيارة عن كل ما تعرف تشعر بأن روحها ترفرف.. تلقي خلفها كل حنينها وعاداتها وأشيائها.

تغادر حتى رفاقها علها عندما تعود تحبهم من جديد.

تجد صيغة تعايش بينها وبين كل أشيائها تلك التي هي صلتها بالعالم علها تخفف من حدة سكاكين الشجن التي تعمل في جسدها وقلبها.

علهـــا تبكـــي على راحتها لتصبح من جديد كائنا قادرا على الاندهاش ورؤية أجمل ما في البشر والحياة.

علهـــا لا تفلـــت شعوذات الطفولة الغارق فيها عالمها تلك الوسادة الآمنة التي حمتها دوما من الموت المحقق.

مع أول دفقة هواء ثائر ورشرشات مالحة من الموج الغاضب المشتاق مثلها للعناق تحررت..

على الجسر الذي تتلاشى عنده الأرض تجلس..

علـــى راحـــتها تمامـــا في وضع استعداد للتحليق أو الذوبان فـــردت يدها.. باعدت ما بين ساقيها.. أغمضت عينها واستسلمت. لا تدري كم من الوقت مر وهما يمارسان فعل الجنون بينهما، ولا كـــم دمعـــة ســـاخنة سقطت على وجنتيها فجففها لها أو شاطرها حـــزنها بان أرسل رسائل سلام مالحة بيده السخية وعطره اليودي الـــذي تحـــبه. شعرت بأنه يسلبها شيئا مثقلة به، ويعيد لها عمرا وأمنيات.

لثمت يده الكريمة احتضنها بعنف وتلاشيا معا.

سألها أن تفض أسرارها بين يديه.. لم تكن لديها رغبة أن تحكي.

كان الشوق كله للصمت لممارسة فعل الالتحام به والصمت.

لحظات وتلقت تعاويذ الطبيعة الساحرة التي أملت على روحها المجروحة تلك التي تنزف

بلا أمل في شفاء.

جرت كثيرا.. عانقتها رائحة الياسمين والفل.. قطفت لنفسها عشر زهرات.. صنعت عقدا ليدها قبل أن ترتمي على العشب.. على امتداد بصرها النخيل وصخب حركته مع ملامسة الهواء العنيفة له.

في لحظة شوق لا موصوف نظرت نحوها تلك السماء الغارقة بآلاف النجمات.

نجوم لا تراها إلا هناك.. أهداها لها نجمها الذي تدور في مداره هي..

سألتها النجوم أن تبوح.

اشتد تشبثها بالصمت كان الموقف على أشده عندما اقتربت النجمات كلها دفعة واحدة واحتضنتها.. مسها منها وهج الحياة.. ارتعاشات النشوة.. طاقة حب ربما.

بددت شيئا من الحزن الممتد بطول روحها واتساعها.. قبل الفجر بساعتين كان جسدها ملقى على الرمل. مستسلمة قدماها لدغدغات الموج الهادئ تشعر إنها تولد من جديد، وإن صك

غفـــران قـــد يصدر في الساعات القادمة عن كل ما كان.. عندما ارتوت تماما من ذلك البراح والتحرر وسط الرمال وصوت الموج والنخيل.

عـــندما بـــددت رائحـــة الـــيود ذلك الثقل الموجع للحزن في أعماقهـــا وقـــبل أن تعود لترتمي على فراشها واجهت القمر الذي ألقـــى ضوءا فضيا على مساحة صغيرة من الماء أمامها.. صدفة عبقرية أن تكون تلك البقعة تحديدا بها مركب يشبه قارب أحلامها البسيط.

المـــشهد أســـرها تماما.. أسعدها رسم على روحها. ابتسامة كفـــتها حتـــى صباح اليوم التالي لتجلس في الشرفة ترمق زرقة البحـــر.. تـــشم عطر الياسمين في كل ما حولها.. تستقبل احتواء البحـــر لهـــا دون أدنـــى مقاومة.. تتركه يجتاحها بكامل إرادتها وإرادته.

* * *

الولد الحزين يفكر أن المقهى تنقصه ضحكة فتاة الورد..

وأن الـــشوارع تنقـــصها صحبتها.. وأن روحه تفتقد صخبها وثرثرتها.

الـــولد الحزين يفكر انه لا زال هناك الكثير بينهما.. لا زال لديها لأجله عشرات الحكايات..

ولديـــه لأجلها بعض من الأسرار وكثير من الجنون، وخفق محمل باسمه.. وشغف يخصها وحدها في عينيه.

يـــشتاق أن تحكـــي له آخر أخبارها تلك التي تتجدد كل يوم، وتسأله عن آخر ما توصل له في موضوعاته المعلقة.

يفتقد متابعتها له وهو يلمس الشيكولاتة بشفتيه.

يفكر أنها كانت ستخبره آخر نكتة سمعتها وتسمع منه حكاية طـــويلة تحـــاول أن تقاطعه فيها كثيرا لكنه يكمل دون أن يستسلم لطفولتها.

يحكـــي وتـــضحك ويضحك وتلملم من عينيه ومضات هدوء ومن عينيها ومضات سعادة.

يعرف أنها تستمتع برهبة المغامرة وهي معه.

وكـــان ســـيختار أبعد الطرق التي تؤدي بهما للافتراق ككل مرة.

ســـيحمل عنها حقيبة كتبها ويصرخ بأنه لم يفعل ذلك أبدا في حياته..

ستـــشفق علـــيه من حملها لكنها ستبقى سعيدة وهي تشعر به يقتسم معها الأوراق والكتب.

ســـيلمح اســـمها بين أرقام هاتفه.. يبتسم لها.. قد يخفق قلبه بشوق غير مبرر.

تمر هي على اسمه سريعا قبل أن تضعف..
تقاومه..
وينتظر هو رايتها البيضاء.
الولد الحزين يعرف أنها تصبغ كل قطع القماش لديها باللون الأزرق حتـــى لا تجد ما ترفعه إعلانا للاستسلام.. تحرق قوارب العودة وتوصم وجوده بالغضب.

تغافله وتمر لروحه عندما يتذكر ثمار المشمش..
بينما تستدعي وجوده عندما تلمس بشفتيها قطع الحلوى بطعم الفراولة..

* * *

البنت التي تحب الورد تعود من السفر.
تختار أن تقاومه وأن تكتب عن الحزن بدلا من الحب.
يقـــاوم الحـــزن أن يتجـــسد.. ولا تأتـــي سوى أشباح كلماته وابتسامته وصمته.
تجلس قرب النهر.. تستنشق رائحة ذكرياتهما معا هناك.
تتلهى بدمعات الشمس على سطح الماء.
تخشى إن أغمضت عينيها أن تلقاه في سكون الأحلام.
تـــرفض أن يقطع أحدهما "العزل الوقائي" الذي اختارته هي حتى في الأحلام.

في لحظة حنين قوية تقرر أنها ستمحو لقطات وجوده كلها.. حتى يبدو كحلم ليلة صيف..

حلم غير واضح الملامح تنساه لحظة أن تستيقظ.

لـــن يبقى في مملكتها سوى خائن صغير هو قلبها الذي يخفق باسمه.

ستـــسوقه وحـــده علـــى مقصلة الطاعة.. سترقبه وهو يخفق لآخر مرة قبل أن يتوقف وتهدئ هي كل ما سيزعجها بعد ذلك..

إن ذلك الخفق الأخير كان يدوي بحروفه هو.

البنت مغرمة بالمشي

كـــل يـــوم قبل ساعات العمل تثقب جعبة الحزن، وتمشي في شوارعها التي تحبها ليتسرب الحزن.

كـــل يـــوم بعد ساعات العمل تعاود كرة المشي تلملم الزحام والبشر تحفظ الشوارع في قلبها ورئتيها.. تقاوم الوحدة وأحاسيس الفقد.

فتاة الورد تحيرها أشياء الآخرين التي تبقى عند رحيلهم..

ملابس أمها..

نمرة تليفون عمتها..

نـــضارة خالهـــا.. ووجهه الذي لم تره عندما مات وشعورها بأنـــه سُـــرِق مـــنها عندما غادر البيت للمستشفى وهي تعرف أنه سيعود ولم يعد.

تحيرها أشياء الآخرين التي تبقى عند رحيلهم.
مكتب زميلها الذي توفي في محرقه بني سويف..
رقـــم الفتى العصبي والفتى الذي يأكل العدس على الرصيف على هاتفها المحمول.
أشياؤهم التي تبقى دليلا دامغا على حقيقة وجودهم.. وأن ما بين التواجد والتلاشي حكايات.

تعودت مقاومة الحزن والتملص من ظلاله العتمة المقبضة.
بمعول الرغبة في عبور أنفاق الظلام تضرب.
وبالأمل الذي ينبض في القلب تدرك أنها ستنجو.
هكـــذا تـــضربنا أمـــواج الحياة حتى تهدأ تماما وتلقينا تحت رمالها في رحلة أخرى.

البنت التي تحب الورد مهووسة بالماء.
تضحك وهي تخبر الولد الحزين "إن الإنسان أصله بطة".
تحكي له أن اسعد لحظات حياتها هي التي تقضيها في البانيو تلعب في الماء.. وأنها تفعل ذلك في اليوم أكثر من خمس مرات، سواء كان الفصل شتاءً أو صيفا.
تحكي له أنها تشرب نصف كوب الماء في البيت وتصب ما تبقى منه على ملابسها وتستمتع بالبلل.
تخبره أنها لا تستخدم منشفة، وأنها تترك رشرات الماء على جسدها.

الــولد ينظــر لها ويتحدث عن ضرورة استخدام المنشفة يتحدث عن أمراض جلدية وحكايات لا تعنيها.. تضحك وتستغرب العقلانية التي يتحدث بها..

لكــنها مــع ذلــك تمتنع عن عادتها في البقاء مبتلة وتستخدم المنشفة.. وفي كل مرة تتذكر كلماته وتبتسم.

الولد الحزين يحكي لها عن الغسيل..

تضحك لأنها لا تعرف أن تغسل الملابس يدويا.. تتخيل شكله وهو يغسل.. يبدو لطيفا مضحكا.

تــسأله أن يدعــوها مــرة للفرجة عليه.. يضحك ويعدها أن يفعل.

البــنت تحب غسيل الصحون جدا أكثر من أي عمل أخر في البــيت.. تحكــي له أن السبب في ذلك ربما فيلم شاهدته مع أمها تزوج فيه الأمير من الغجرية لأنها غسلت أكبر قدر من الصحون في المسابقة.. تبتسم وتخبره أن البطلة كانت صوفيا لورين وكانت ترتدي فستانا جميلا مفتوح الصدر تنورته منتفخة.

تخبره أنها تحب هذه الأزياء وهذا العصر في أوربا.

الــولد يخبــرها عــن نجمات السينما الأربع اللاتي يفكر في الزواج منهن.

تكون بينهن نجمتها المفضلة "ميج رايان". تغار منها بعد تلك المحادثة مع الولد وتتوقف عن مشاهدة أفلامها.

تقرأ كل ليلة "دفتر الولد الحزين الأخضر الذي وجدته وهي ترتب معه الكتب في بيته الجديد.

وضعته وسط أوراقها واحتفظت به.

الولد الحزين كان يحكي فيه عن حبيباته الأُول.

كان يؤلمها جدا ما تقرأ.. وتتأكد في كل سطر أن قلبه لم يعد به موطن لرتق..

وأنها لن تجد مكانا تبقى فيه وسط كل ما كان.

تبكـــي وتتمنـــى لو كانت قابلته في سنوات بعيدة فائته، أو لو كانت لم تقابله أبدا.. كانت الحياة ستبقى على رتابتها لكنها لم تكن ستعاني كما يحدث لها الآن.

البـــنت تعرف النغمة التي يخصصها الولد على هاتفه للبنت الأخرى.

هي لأغنية تحبها

غضبت صارت غاضبة منه دائما بلا ذنب له تعرف ذلك، لكنها غاضبة وحزينة.

تمسح رقم هاتفه من على تليفونها..

عندما يتصل بها تعرف رقمه.. تفاجأ أنها تحفظه.

تعـيد حفـظ الرقم لكنها تلغي النغمة التي خصصتها له من قبل.. تحاول أن تثبت لنفسها أنه كالآخرين.

تقـرر البنت التي تحب الورد ألا تقابله مرة أخرى وألا ترد على اتصالاته، وألا تتصل به.

كل يوم تقريبا تقرر ذلك..

وكـل يوم تقريبا تقابله وتشرب معه قهوة الصباح.. وتمشي معه في الشوارع وتحكي له وتسمع منه.. ويضحكان معا.. وتبكي وتلمـح الألم في عينيه.. كل يوم ولا يتغير شيء حتى النغمة التي يخصصها للفتاة الأخرى.. لا شيء يتغير.

* * *

البنت التي تحب الورد..

تخـاف الزهايمـر.. تحكي للولد في رحلة الأتوبيس عن كل الشوارع التي يمران عليها.

تـشير للـشارع الـذي به مدرستها الابتدائية وتحكي له عن الـرمال والأحجار التي جمعتها من على بوابة المدرسة في آخر يوم ذهبت لهناك.

تحكـي لـه أن مغادرتها مدرستها الأولى كان أول إحساس بمرار الفقد ذاقته في حياتها.

تحكـــي لـــه عن دموع كانت تتسرسب من عينها كأنك نسيت صـــنبور الماء في فناء المدرسة وأغرق النخلة التي في منتصف المكان تماما.

البـــنت تحكـــي له عن مدرستها الثانوية.. وعن المكان الذي شـــجت فـــيه دماغ ذلك الولد الذي عاكسها ومشى خلفها شارعين كاملين حتى اضطرت لالتقاط طوبة من الأرض ورميه بها.

تضحك حتى تمتلئ عيناها بالدموع.. تحكي له عن شارعها.. عن الشجر ومحلات الحلوى، وعن محل الكشري الذي دخلته أول مرة في حياتها مع أبيها.

تحكي كثيرا ثم تصمت..

تتـــشبث بـــيده ثـــم تقول له إنها ستفتقد هذه الذكريات عندما تصاب بالزهايمر.

يبتسم ويخبرها أن ذاكرتها ضد المحو..

تطلـــب مـــنه أن يعدها أن يكون هو ذاكرتها.. تطلب منه أن يبقـــى حتـــى يـــصحبها فـــي جولات الأتوبيس عندما تنسى كل التفاصـــيل تطلـــب مـــنه.. أن يحفـــظ كل ما تخبره به جيدا لأنها ستحتاجه فيما بعد..

الولد الحزين ينزعج من خوفها..
يحاول أن يهون عليها ويهدئها..
لكن خاطر النسيان يتسلل لروحه هو الآخر ويزعجه..

عــندما يفترقان ويعود لبيته يجلس على السلم الخشبي جوار الــصبارات التي تموت ويسأل نفسه عمن سيكون رفيقه في رحلة النسيان هو الآخر.

يفكر في الفتاة الأخرى.. ويظن أنها ستكون هي.

في الصباح سيهاتفها ويطلب منها أن تصحبه في كل الأماكن التي حكى لها عنها في السابق عندما ينسى.

الــولد يتذكر أن الفتاة الأخرى لا تجيب على اتصالاته، وأنها إن أجابت عليه لا يجد ما يخبرها به.. وأنها دائما هي التي تتحدث ودائما ما يكون لديها ما تخبره عنه.

يفكــر الــولد الحزين في التشابه بين البنت التي تحب الورد والفتاة الأخرى.

لا يرى غير تشابه وحيد بينهم هم الثلاثة..

جميعهم يحب من طرف واحد.

عند هذه النتيجة يتوقف عن التفكير ويتأمل الصبارات الساكنة ويسمع صوت أنينها.

* * *

البنت التي تحب الورد تقرر أن تكره الرجال..

وأن تجمع كل الطوب الصغير الموجود في الشوارع الصغيرة وتقذفهم به في الميادين الكبيرة.

تفكر أيضا أنها تحتاج لأن تتعلم السباب القبيح.. لأن استخدامه مناسب في وصف الرجال..

الولد الحزين يفكر في كره الفتيات الغامضات كما يحب أن يقول عنهن.. يستثنى الفتاة التي تحب الورد لأنها تحكي له كل شيء.

يقول لنفسه إنها واضحة تماما.. أنا أعرف ما تفكر فيه من نظرة عينها.

يفكر في طريقة لمعاقبة الفتيات الغامضات.

ستبدو فكرة وضعهن في جوالات ورميهن في بئر أمر مناسب.

يقرر أنه من الغد سيبحث عن مكان قريب من العمل والمقهى به بئر مناسبة..

البنت تبدأ في جمع الحصى وتتوقف عن الحديث مع الولد الحزين حتى لا يعرف شيئا عن مخططها.

الولد الحزين يقضي معظم الوقت بعد مواعيد العمل في البحث عن البئر.. الولد يتساءل في أعماقه لماذا صارت الفتاة التي تحب الورد قليله الكلام.. غامضة؟!

* * *

اليوم عيد ميلاد البنت التي تحب الورد..
تحتفل به وسط كل أصدقائها..
الــولد الحزين ليس بينهم.. الولد الحزين ليس صديقها ربما هو حبيبها.. لا أحد من أصدقائها يعرفه.
لا أحد منهم رآه معها.
عــندما تختفــي عــنهم وتجلــس في المقهى الذي لا يعرفه أصدقاؤها تقابله..
الــولد الحــزين هو السر الوحيد الذي احتفظت به فتاة الورد بعيدا عن أصدقائها.
أصدقاؤها يظنون أنها متناقضة كقطعة ثلج لها قلب ناري، أو كــشعلة شــمعة بــرائحة التوت تنشر هبات نسيم على وجه ذلك المجهول الواقف في ركن عالمها. تسعد وتحزن في ذات اللحظة. تحب الشيء وعكسه بصدق.

تفكر وهي تطفئ شمعه عيد الميلاد أن لحظات العبور للعام الجديد لها طعم الموت والحياة ملتبس كل منهما في الآخر.
لــدفء كلمات الأصدقاء والأهل وقبلات الحب بهجة تكفيها عاما آخر لتعبر هوة الجنون.
لدموع ذكرى الأحبة الراحلين وخز سكين مسموم.

بـــين تناقض الحزن والشغف تنبض الحياة وبين دماء العشق والموت تمضي ويبدأ العام.

* * *

البنت التي تحب الورد تحب الفساتين البيضاء.

تحكي للولد الحزين أن أمها كانت تحكي لها دوما عن حلمها أن تراها ترتدي الفستان الأبيض.

تخبـــره أنها قالت لها إن ذلك أول خاطر يأتي لأي أم عندما تعرف أنها أنجبت بنتا.

لا تخفـــي علـــى الـــولد حزنها لأنها أخفقت أن تحقق لأمها أمنيتها تلك.

الـــولد الحزين يفكر أن الفتاة الأخرى لا تحب فساتين الزفاف البيضاء.

يـــشرد فـــي هـــذا الخاطر كثيرا عندما تحدثه فتاة الورد عن الفساتين البيضاء ثم يسألها: "لماذا تكون فساتين الزفاف بيضاء؟"

تـــتعجب من سؤاله.. وتتساءل بينها وبين نفسها: "هل هناك من لا يحب اللون الأبيض؟!"

تخبره أن فستان الزفاف أبيض لتبدو العروسة فيه كالملاك. ولأن الـرجال بمـأمن دومـا مـن الأرواح الشريرة فالعروسة والوصـيفات يـرتدين ذلـك اللون لتضليل تلك الأرواح حتى لا تصاب العروس بأذى.

تضحك وتخبره أن فستان الزفاف الأبيض هو الراية البيضاء التي ترفعها البنت أمام حبيبها.. كرمز لقبولها له.

تخبـره أن أول من ارتدت فستان زفاف أبيض كانت الأميرة فكتوريا عام ١٨٤٠ وقلدتها النساء حتى اليوم.

تخبره أنها ستكون سعيدة إن ارتدت فستان زفاف أبيض لكنها سـتفرح أكثر لو تزوجت رجلا تحبه وإن ارتدت ملابس سندريلا في الجزء الأول من القصة.

* * *

البنت التي تحب الورد يعد لها صديقها الطيب مفاجأة..

يتـصل بهـا علـى هاتفها في عصر يوم.. تكون فيه وحيدة كعادتها ويخبرها أن تنتظره في شرفة بيتها.

يحرك فيها كل ذرات الطفولة وتسأله عن السبب.

يخبرها أن تفكر في المفاجأة التي أعدها لها حتى يصل!

تفكر ولا تصل لشيء..

بعـــد دقائـــق تلمح سياره صديقها الطيب.. يشير لها أن تنزل لأنه في عجلة من أمره..

يفتح باب السيارة وينزل.

يمشي إلى جوارها ثم يفتح باب السيارة الخلفي.. يطلب منها أن تغمض عينها..

وأخيرا يطلب منها أن تفتحها.

صديقها الطيب.. هو بديل لأمها هكذا تشعره..

يكبرها بعشر سنوات.. يحمل كل طيبة الدنيا في روحه.

تـــشبهه دومـــا بالشمس.. وحدها التي تمنح الدفء والضوء والبهجة.

وحدها التي تعطي دون أن تنتظر.

البـــنت كانت مع أصدقائها منذ أيام في النادي يحتفلن بمناسبة خاصة بأحدهم.

بعـــد الاحتفال تحدث كل منهم عن الأحلام التي فكر فيها ولم يحققها.

تحدثت عن دورق صغير به سمكة برتقالية.

فكـــرت كثيرا أنها تتمنى أن يكون عندها دورق ماء صغير بـــه سمكة برتقالية.. فكرت لماذا لم تحاول من قبل أن تحقق هذا الحلم.

عـــندما فتحت فتاة الورد عينها.. كان صديقها الطيب يمسك في يده دورقا زجاجيا وكيسا به سمكة برتقالية وأخرى ذهبية.

لو كان من الممكن أن تقبله لفعلت.

لو كان من الممكن أن تصرخ وتغني وتقع على أحد ركبتيها لتعبر له عن سعادتها لفعلت. كانت فرحة حقيقة.. سعادة لازمتها أياما طويلة وهي تتابع السمك يلعب أمامها على المكتب في الدورق.

اعتاد صديقها الطيب أن يشتري لها الشيكولاتة وعصير القصب في كيس كما تحب أن تشربه.. اعتاد أن يقابلها هي وصديقاتها الأخريات "الساحرات" كما اعتادت أن تسميهن.. اعتادوا جميعا الجلوس والحديث معا.. على اقتسام لحظات السعادة والحزن.

معهم تشعر أنها لها عائلة كبيرة حقيقية..

بهم يمكنها أن تأمن جانب الزمن.

عندما جرح الحب قلبها كانت تفكر أن الحياة كلها بدت مبهمة.

تماما كذلك الشعور الأول للوجود.. وأنه ليس ثمة تعبير لمن يجهلون اللغة.

ليست هناك كلمات تنتقل في الفراغ. هكذا أحست هي.

رغبتها التي تزداد يوما بعد يوم أن تبقى وحيدة.. أن تشاهد تفاصيل الشوارع وحدها.. تنظر في وجوه البشر كأنها تطالعهم لأول مرة. تجلس في قاعة السينما المظلمة وحدها.. تقتسم مع وحدتها تفاصيلها العظيمة البلهاء.. لا تدعو أحدا للمشاركة.

لا تـرغب فـي لحظات حقيقية أبدا.. للافتراض فعل السحر علـى روحهـا المثقلة بالدم واللحم والأرواح. بالأعباء والأحزان والذكريات. بالضحكات التي لم تعد راغبة في بعثها لعالم النور.. تقطـع الكـباري وممـرات الـشوارع بلا شريك.. تسكن بياض الصفحات بلا رغبة في تجسيد آخرين.. لا تفكر في شيء. صمت الأفكار شعور جديد تستدعيه ويستجيب.

تلمـسه. تـتأكد من براح بوابته. تدخل. تجلس على أرضية الحلم. تفرد ساقيها وتحل شعرها

تستند على وسادة محشوة بالسحب.

تشعر بالراحة كما لم تعرفها من قبل. تغمض عينيها وتستسلم لرنين الصمت حولها.

بـدا الـصمت وقتها أبديا.. لم تخرج من الحزن غير بهم.. أصـدقاؤها.. فـي نفس الجلسة التي تضمهم معا يجلسون أمامها يسمعون منها يغلقون قلوبهم عليها.

ما الذي شعرت به في تلك اللحظة؟!

هـل يعرف أحد كيف يبدو العالم كصحراء بلا قمر ثم تظهر فجـأة كـل نجوم الكون لتضئ لك وحدك؟ أن تمسح على رأسك وتحمل عنك كل ما يؤرقك ويزعجك؟

معهـم بكـت بـلا حرج ونبشت في روحها، ولملمت شتات نفسها، وتعجبت كيف يداوي الحب، الحب!

* * *

البنت التي تحب الورد لم تكن قادرة على النوم بشكل طبيعي تكره فصل الشتاء.

مع البرد والليل الطويل يسيطر عليها هاجس من الخوف..

كانت في سنواتها الأولى لا تشرب النيسكافيه ولا أقداح القهوة السادة التي تتجرعها الآن طيلة اليوم في سباق محموم مع لا شيء..

لم يصادف أن وضعتها يد أمها الحانية في الفراش ونامت.

أبدا لم يحدث.

ماذا كان يحدث؟!

كانت ساعات طويلة باردة مظلمة رغم كل الأغطية التي تقبع فوق جسدها الضئيل.

مما كانت تنتفض؟ ولماذا تغمض عينيها وتقاوم محاولات ذلك الكائن الرمادي – عفريت طفولتها – في أن تفتح عينيها؟

لماذا كانت توقن أن أبو رجل مسلوخة ينام تحت السرير وانه سيجذبها من قدمها في أي لحظة؟

ولماذا لم تكن تنام إلا قرب الصباح؟!

ولماذا كانت ترى ذلك الأسد الضخم يختفي خلف ستار الحجرة ثم يصدر صوتا خافتا ويتحدث مع أحد آخر تعرف هي في ذات الحلم على أنه يتفق معه على أن يلتهمها عندما تنام فتقاوم أن تقع في بئر النوم؟

هـل كانـت نائمـة حقا؟ أم أن الأسد استطاع بطريقة ما أن يختفي من خلف ستارتها وهي تخبر أمها عنه في الصباح؟ تحملها أمها في اتجاه الستارة وتقول لها اسحبيها.

تتردد قليلا – ثم تطمئن فتسحبها ولا تجد الأسد.

لماذا بقت لحظات الانسحاب من عالم اليقظة للعالم الآخر هي أصعب اللحظات في وجودها كله؟ كيف ستواجه لحظة الانسحاب الكبرى؟ كيف ستموت؟!

لمـاذا عـندما تنسحب الآن لتنام في حجرتها تنتابها كوابيس شـديدة؟ قـد تـصرخ أحيانا وقد تلطم خدودها نوبة أخرى، وقد تتلاشى في حضن أبيها فتعود طفله مطمئنة.

ولماذا استسلمت أخيرا وأصبح الليل شبيها بالنهار؟

تمـارس فـي الليل كل الطقوس إلا النوم، ثم تنام في زحام يـشبه زحـام الأشباح في مخيلة تلك الطفلة. تسحب مخدتها وتنام على أرض أي حجرة أخرى.

وتبقـى تلك اليد الرمادية لعفريت طفولتها هي آخر ما تغلق عليه عينيها وزئير ذلك الأسد قادما من خلف ذات الستارة.

الولد الحزين يفكر أن للشوارع رائحة المطر والبحر والمدن الساحلية الحزينة.

تلك الرائحة الزخمة بالتفاصيل والحكايات.

الهواء بارد يلامسه – يدغدغ أعصابه.

تحمل أنفه برودة يدخن الهواء بين رئتيه وشفتيه.

الـــولد يحـــب فـــصل الشتاء.. يختصر فيه كل الطقوس التي يحبها.. يتجدد العالم داخله على أعتابه.

يمـــشي فـــي الشوارع الوحيدة مثله تمرر له بعض البهجة.. يتكثف من فمه دخان بارد شفاف كما الأرواح في مخيلته.

تتساقط حبات مطر رقيقة تهمس بأسرارها.

تتراقص قطراتها في عينه محملة بالملل والثورة والحنين.

يتذكر كلمات منير أبكي لو ف عيني دموع

يستـــسلم لأضـــواء المساء.. يتجمد في مكانه يتابع السيارات والبشر والزحام..

يمضي قليلا ثم يتوقف لشراء سوداني مملح.

يشعر ببعض البهجة..

يعـــود للمنـــزل مبللا بقطرات المطر وبقايا البهجة الضعيفة المتسللة لنفسه.

يرتدي بيجامة رمادية محببة لنفسه.

يشعر ببراح من كل ما يضايقه وكل ما يسجن روحه ويمنعها من ملء الفضاء والفراغ..

إلى جوار السوداني وكوب الشاي الساخن والصبارات الميتة يجلس.

فـــي هـــدوء يغمـــض عينـــيه ويسترق السمع لصوت حبات السوداني في فمه..

* * *

البـنت التـي تحـب الـورد تعتاد السفر.. تنتابها رغبة في الانفصال عن كل ما تعرف..

تذهب هذه المرة لآخر الخريطة التي تعرف أن ترسمها.

أن ترتب شنطة سفر..

تـزج بعالمهـا الـصغير كلـه فـي حقيبة تملؤها بحنينها واعتيادها..

تحـاول عبـثا أن تصنع في جدارها ثقبا تتسرب منه الإثارة والخوف.

تتحيـر تماما من صعوبة حمل تفاصيل العالم وجدران البيت معها في الحقيبة.

لا تتسع جدران قلبها لكل ما ترغب في نقله معها..

المدينة المزدحمة التي تنتمي لها.

تكـاد تحـت وطـأة الرهبة ألا تغادر.. أن تتوقف عن فعل الاسـتعداد للمغامرة.. هي الوحيدة الخائفة من شبحها على جدران الحجرة. قرب الفجر بقليل تقاوم وتمضي في اتجاه الضوء.

كيف هو السفر دون ما ومن نحب؟!

حنين يعتصر قلبها.. يبدو فصل الشتاء غير مناسب للرحيل.

يعصر قلبها بوحشته..

في القطار تجلس في كابينتها المخصصة للنوم.. بعد ساعات قليلة يهدأ كل شيء حولها.

لا يبقـــى غيـــر ضوء مصابيح الطريق التي ترقبها هي عبر نافذتها.

بخار الماء يغطي كل شيء.

الأغطـــية البيضاء المتدثرة بها على السرير في "قطار النوم" تبدو مرعبة.

في أغطيه كهذه نلف الموتى في الثلاجات.

فـــي أغطية كهذه تبدو الأكفان.. تمسك هاتفها المحمول تفكر في اسم يقتسم معها رهبه الوحشة التي تملؤها.

تستبعد أباها.. لا تريد أن تقلقه عليها.

هـــي كبيرة.. لم يعد مناسبا أبدا أن ترتمي في حضنه وتخبره أنها خائفة. لم تعد قادرة على فعل ذلك.

تفكر في الولد الحزين وتعرف أنها لن تحادثه أبدا.

لن تكلم أحدا من أصدقائها. هي وحيدة فلتبق هكذا. لتترك كل المـــشاعر السلبية تجتاحها. لن تقاوم شيئا. ستترك كل شيء يدوي داخلها.

تبكي وتغادر الحجرة.

تجلس في الكافتيريا تتابع المسافرين.

ترى رجلا وامرأة يلعبان الورق.

عائلـــة كاملة تنام في الكافتيريا لأنه ليست هناك أماكن لهم.

تفكر أن تعطيهم مكانها ثم تصمت..

تحدق في الطريق. تشعر بالرهبة التي تخيم على المشهد..

في مدخل مدينة مهيبة يهدئ القطار من سرعته. تبدو البيوت شامخة.

تغـــرقها الذكـــريات الحـــزينة وتصبغ رائحة الموت المشهد بأكمله.

تعود لسريرها.. لا تعرف أن تنام.

مع أول شعاع للشمس تبتهج.. في شرفة القطار قبل الوصول بساعة تتنفس هواء مختلفا لم تقابله من قبل.

تملأ عينيها بالمساحات الخضراء تقع في هوى النخيل..

عند نهاية الخريطة والقطار تقضي عشرة أيام..

يعتدل مزاجها تماما.. تنام مبكرا وتستيقظ في الصباح ترقب الفجـــر.. تتناول إفطارا ككل البشر.. تعتدل شهيتها وتتذوق طعم الأشياء.

يلازمها الصمت.

تتفـــتح مسام روحها وجسدها بشهوة الحياة.. تفكر في جسدها ولا تعرف لذلك سببا.

هل لطغيان الطبيعة سبب في ذلك؟!

هـــل مـــدن الاسمنت التي قضت فيها حياتها تعطل إحساسها بأنوثتها كما تحسها هنا؟!

تقضي اليوم في المشي بين الأسواق.

ترقب البشر.. تجوب النهر في مركب شراعي طيب.

تــزور المعابد والمقابر الفرعونية تمتنع عن وضع كريم ضد الشمس. تريد أن تصبح قطعة من المكان الذي جاءته كملاذ لها.

عــند حــد الصورة الكاملة للطبيعة يكاد قلبها أن يتوقف من النشوة.

في لقطة واحدة تلمح الجبال ومجرى متسعا للنهر كما لم تره مــن قــبل. طــريق أسفلتي.. بيوت تفوح رائحتها بالطيبة والفقر والــبؤس والإنــسانية.. بين البيوت والجبل وأشجار النخيل تقف المقابر شامخة تدلل على تلازم فعل الموت والحياة.

فــي تلــك الرقعة البكر من الأرض تصادق الأطفال متسخي الثياب عاريي الأقدام.

تفــتح يدها للعرافة التي تفك نقوش يدها.. تنظر لها في حزن وأســى حقيقــي وهــي تخبرها أنها ستكون ذائعة الصيت، باقية كالفراعنة التي جاءت لتختفي وسط أحجارهم من الحزن الذي أثقل قلــبها. أخبــرتها أنها ستجني أموالا بيدها هي. لن يمنحها رجل شــيئا.. ستحقق وحدها ما تريد.. عن حال قلبها تربت على كتفها قبل أن تتحدث..

تخبرها كل ما تعرفه جيدا.. محكوم عليها بالشقاء.

بمــوت الحب قبل أن يكتمل.. هكذا ستقضي عمرها كله في تجفيف دماء أجنة الحب المجهضة.. لن يكتمل نمو حب ولا طفل. لن يقتسم معها رجل تلك النجمة التي ستسكنها بلا شك.

الولد الحزين تجيئه فرصة للعمل في البلاد البعيدة التي تحقق الأحلام الخائبة سريعا.. يفكر أنه يكره السفر.. يمقته.

يفكر أنه لن يحتمل غيابين..

وأنـــه حمـــل معـــه فـــي قلبه قريته الصغيرة البعيدة للمدينة الكبيـــرة.. لكنه لن يحتمل أن يحمل وطنا بحاله.. لن تسع ذاكرته ولا روحه كل تلك الأحمال.

يـــشعر أنه يلملم كل هزائمه في حقيبة سفره الصغيرة زرقاء اللون ويمضي.

يتأكد يقينه أنه خرافي الوجود لحظة إغلاق الحقيبة.

يـــشعر أن العـــالم فراغ متسع وأنه مقبل على لحظات طويلة مـــن الصقيع.. حيث لا يمكنه أن يتنفس قبل أن يتجمد بخار الماء على شفتيه معلنا العصيان.

لا يعرف نسيم هواء إلا ذلك الذي عمده النيل ودشنته قوارب الصيد الفقيرة في النهر الحزين مثله.

لا يعرف إلا أن يلتئم مع فراشه ذلك الذي لا يسع سواه.

لا يشعر بالأمان في شوارع لا يعرفها.

تملـــؤه الألفـــة لحظـــة اقتسام فنجان قهوة مع صديق يطمئن لانتمائه لعالمه.

البشر والأماكن التي يعرف هي تميمته الوحيدة للتحرر.

فيما عدا ذلك يشعر كأنه في متاهة أسطورية بلا حيز حقيقي من الوجود.

هنا فقط يعرف أن يمارس الحب لكل شيء قدر استطاعته.
من هنا ينسج خارطة لعالم يعرفه ويسع طفولته وحزنه.
من هنا يبدأ تقويمه.
هـنا خارطـته الخاصـة المصبوغة بدماء وردية قريبة من القلب..
مختلط فيها الخفق بالحب.

الولد الحزين يفضل أن يبقى لأنه لا يعرف أن يقاوم الحنين.

* * *

البـنت الحزينة التي تحب الورد تفكر الآن في أسباب الحزن الذي سكنها.
تفكر أنه لم يكن بسبب إعادة حلقات مسلسل أوبرا عايدة.
ولا بسبب بائعة المناديل العجوز بالميدان.
ولا بائعة الفطير في مدخل السوق بجوار محل بيع الخمور.
البائعة التي تشبه يسرا في فيلم "حرب الفراولة".
التـي تجلس هناك إلى جوار أكياس الخضار القذرة المقطعة مكعبات، لتساعد الموظفات على إنجاز وجبات ساخنة تبدو حقيقية في الحياة البلاستيكية.

لـــم يكـــن الحزن حتى بسبب عدم قدرتها على حضور حفل الزفاف لزميلة الدراسة التي لا تذكر سوى اسمها الأول وشيئا من ملامحها.

ولا كـــان بـــسبب تلك الطفلة البائسة الوحيدة التي تمضي في الشوارع المظلمة الباردة وتقابل شبح انعكاسات وجهها على زجاج المحلات في شارع شريف.

الحـــزن الـــذي طاردها في ذلك الحلم الذي أسلمت نفسها فيه لأنوبيس – إله الموت الفرعوني.

فضها وأنجبت منه طفلة ناولها لها ورحل.

الحـــزن المألـــوف الذي يتعايش مع هؤلاء المسكونين بالحب والجنون لم يكن له سبب علمي أو كان له تاريخه الخاص.

لم يكن ملعونا ولا مهانا.

لم يكن حتى واثقا.. كان آخر غير ذلك الذي نعرفه جميعا.

حزن له سطوة الحريق وعذابات الأرواح الهائمة..

حزن له سعة ابتسامتها ورنين ضحكتها الطفولية..

ولمعة دموع الفرح في عينها..

له ألفة حبات الثلج الساقطة من السماء..

وخفة رشرشات الماء على أرضيه حجرة المكتب الزرقاء..

تفكر في الغربان – تلك التي حكى لها عنها الولد الحزين.

قال إنها موجودة بكثرة هناك في المدينة المهجرة..

فكـــرت كـــيف لـــم تغـــادر تلك الغربان رغم عودة السكان المهجرين..

كيف لم تنس تلك الغربان البيوت المتهدمة والجثث التي ذاقت طعمهـــا أيام العدوان بينما نسينا نحن وصرنا نهادن ونوقع اتفاقات شراكه سرية وعلنية؟

أتكون الغربان ذات ذاكرة حقيقية بينما لنا ذاكرة مهترئة؟

تفكـــر فـــي دلالات الحزن التي يبعثها الغراب في النفس.. تفكر أنه يبدو لها كائنا لطيفا وأنها تحب وداعته وصمته.

يـــبدو لهـــا كائنا متأملا.. يحدثها الولد عن المئات منهم فوق الأشـــجار الكالحة وسط الوحشة.. يحدثها عن الرعب الذي تبعثه في نفسه في كل الأيام التي يمضي تحتها وحيدا..

البنت لأول مرة ينقبض قلبها وهي تفكر في الغربان والحزن معا.

* * *

الـــسيدة التـــي جاءت البيت لتحل محل الأم التي تحب قراءة الكتب ومشاهدة الأفلام تنزعج من الفوضى التي تسببها البنت التي تحب الورد في البيت..

الـــسيدة الجديـــدة تجمع فازات الورد من البيت وتبيعها لبائع الروبابيكيا وتدعي أن الورد يتسبب في وجود النمل وتمنع دخوله البيت.

السيدة الجديدة مولعة بالخادمات..

كل صباح تستدعي اثنتين أو ثلاثة لمساعدتها.

كل صباح يمتلئ البيت بالضوضاء.

البنت التي تحب الورد التي كانت تسهر طوال الليل وتنام في النهار لم تعد قادرة على النوم لما بعد الظهر.

فـــي العمـــل غيرت مواعيدها وصارت تذهب مبكرا كمعظم الناس.. صارت حتى تشبهم.

السيدة الجديدة تحكي مع الخادمات.. تشتري منهم الحكايات.

الخادمـــة البيضاء الممتلئة تحكي لها عن زوجها الذي يعمل متـــسولا.. تخبرها أن قدمه اليمنى مقطوعة تماما وأن لديه نصف قدم يسرى فقط.

الـــسيدة تسألها عن ما يجنيه من مكاسب في اليوم.. الخادمة تخبـــرها: "مـــستورة الحمد لله"، ثم تعاود الشكوى من إرهاقها كل يوم في مساعدته للذهاب لوسط المدينة.

هناك على الرصيف أمام الامريكين يجلس الرجل للتسول.

على أن تعود زوجته لأخذه في نهاية اليوم..

تـــسألها الـــسيدة إذا مـــا كان لديها أولاد. تقول لها إن الله له حكمته في ذلك.

يـــبدو أكثر جزء ممتع للسيدة الجديدة وهي تسألها عن العلاقة الجنسية بينها وبين زوجها.. تسألها.. و تضحك الخادمة وتخبرها: "ضل راجل يا ست".

لا تبدو الإجابة شافية.
تقرر أنها ستسألها في مرة قادمة عن تفاصيل أكثر!

السيدة الجديدة رغم أعمال التنظيف اليومية لا تعرف أن تقاوم التراب الذي يجتاح البيت على غير العادة..
طوال النهار تحاول أن تزيح التراب ويتجدد.
لا تعرف كيف يعود ولا من أين يدخل وهي التي منعت ضوء الشمس ونسيم الليل من العبور من الشرفات.

الأتربة تغطي كل شيء.. ملابس السيدة الجديدة في الدولاب.. الأثاث والأواني والسجاجيد.. يختفي كل شيء تحت التراب كأن البيت مهجور.. كأن لا أحد هنا ولا حياة.

* * *

الولد الحزين اختفى تماما بعد ذلك من حياة البنت التي أقلعت عن حب الورد، ولم تعد تذهب للمقهى في الصباح ولا في أي وقت آخر.. يقول البعض ان الولد اختفى كعجوز المقهى وقطته حنة.. يشكك الكثيرون في وجود الولد الحزين والبنت التي تحب الورد، وكل من يشبههم.
يشكك الأغلبية العظمى في وجود الحب والحزن والورد.

البـــنت لـــم تعد تحتاج لثقب جعبة الحزن لأنها اهترات بفعل أحمالها ولم تعد تتجول في الشوارع التي تحبها قبل ساعات العمل وأصـــبحت لـــديها خطط أخرى غير الذوبان في الشوارع والبشر والزحام كما اعتادت.

تستيقظ قبل ميعاد العمل بوقت قصير. تستعد وتذهب لمكتبها. كالآخـــرين تتظاهر بالعمل والحماس. كالآخرين تدخل في نقاشات حـــول الرياضة وفتوى الرضاعة والثانوية العامة ورغيف العيش وســـعر الحديد وحتى الحرية. المناقشات العادية التي يلوكها الناس كالموضة. لكل فترة موضوعها.

الولد الحزين أشتد تشبثه بالحزن والصمت والصبارات الميتة وانتظار الفتاة الأخرى التي قد تأتي وقد لا تفعل!

الـــولد عـــاد لجلـــسته في المقهى.. عاد ليشرب القهوة ويقرأ الجـــرائد ويـــذهب للعمـــل ويختفـــي من الوحدة في زحام زائف ويصادق قطط المقهى وينتظر رجلا عجوزا يعرف أنه لن يجيء.

تمت

أغسطس ٢٠٠٨

نهى محمود

مواليد أول أغسطس ١٩٨٠ – القاهرة

صحافية بجريدة الجمهورية

صـــدر لها رواية "الحكي فوق مكعبات الرخام" – ٢٠٠٧ – عن دار ميريت للنشر

كـــتاب "نامت عليك حيطة" سيرة شبه ذاتية بالاشتراك مع الكاتب محمد فتحى

لها مدونة كراكيب نهى محمود " عنوانها

www.nohaworld.blogspot.com

البريد الإلكتروني nohaworld@gmail.com

تجليات أدبية

في الحلم ..

يتعرف الولد الحزين على أم البنت التي تحب الورد.

في ذات الحلم.. يسافر فتى الحزن وتطلب منه البنت أن يشتري لها «جعرانًا فرعونيًا أبيض».

الولد الحزين ينادي البنت لأول مرة في نفس الحلم بـ «حبيبته».

عندما تستيقظ فتاة الورد تجلس على طرف فراشها وتعيد بصوت خافت الكلمة «حبيبتي» وتبكي.

ميريت